وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت (دراسة تاريخية)

د. حمد بن صالح السحيباني

المصدر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 6، السنة 6، ص533-586
تاريخ الإضافة: 2007/01/25 ميلادي - 1428/1/6 هجري
زيارة: 2095

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فإن دعوة ابن تومرت، التي اشتهرت بين المؤرخين بدعوة الموحدين، قد ظهرت في بلاد المغرب الأقصى، على يد محمد بن عبدالله بن تومرت، وذلك خلال الثلث الأول من القرن السادس الهجري، ثم ما لبثت هذه الدعوة أن انتشرت وأصبح لها كيان سياسي يحميها، حيث امتد سلطانها إلى معظم بلاد المغرب، وأقاليم واسعة من بلاد الأندلس.

وقد قامت دعوة ابن تومرت على أساس عقدي، حيث زعم مؤسسها أن ما يدعو إليه إنما هو الإسلام الصحيح، وأن الأسس الفكرية التي بني عليها دعوته، إنما هي أسس سليمة تنطلق من القواعد الإسلامية الصحيحة. وهذا بلا شك كان من الأسباب القوية التي مكنت تلك الدعوة من الظهور، ثم الذيوع والانتشار، في أنحاء واسعة من بلاد المغرب والأندلس.
وكما انتشرت هذه الدعوة في بلاد المغرب والأندلس، وتمكنت من قلوب بعض الناس فيها. فإن مؤسسها استطاع أن يقيم لها كياناً سياسياً واسعاً في تلك البلاد، وهو ما عرف بدولة الموحدين، حيث تمكنت هذه الدولة من أن تصبح في مصاف الدول الإسلامية المعاصرة لها، حينما أصبح لها نظامها المستقل، وكيانها السياسي القوي.

وقد تناول عدد من الكتاب والباحثين بالدراسة والبحث بعض الجوانب من تاريخ هذه الدولة ونظمها، وقد كنت أحد الباحثين الذين تناولوا نظمها حينما أعددت رسالة الماجستير بعنوان ((النظم الحربية في دولة الموحدين بالمغرب والأندلس)) حيث يسر لي ذلك التعرف على هذه الدولة، ونظمها الحربية، إلا أن الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت والتي قامت على أساسه دولة الموحدين لم يتيسر لي بحثه، والوقوف عليه، لأني حينذاك كنت ملزماً بالخطة التي وضعتها لرسالتي وهي ما يتناول النظم الحربية فقط، وذلك بالرغم من أهمية دراسة الاتجاه الفكري لتلك الدعوة إذ أنه كان له أثره الواضح في توجيه سياسة الدولة لاسيما في أول أمرها.

ومما زاد من أهمية هذا الموضوع، وأهله لأن يكون ميداناً للدراسة والبحث، تباين آراء الكتاب، والمؤرخين، في تقويمهم لهذا الاتجاه، حيث وصفه بعضهم بأنه اتجاه سني سار على منهج سليم، بينما قال آخرون بخلاف ذلك، حيث وصفو تلك الدعوة بالغلو والانحراف، وهذا ما زاد من عزمي على دراسة هذا الموضوع لعلي أتمكن – بعون الله – من الوصول إلى الحقيقة فيه.
ولمحاولة الإحاطة بكل جوانبه، والتي يفرضها علينا عنوان البحث، فقد جاء هيكله على النحو التالي:
في بادئ الأمر قدمت له بمقدمة مختصرة، تحدثت فيها عن الدعوات، والدول الإسلامية التي ظهرت في بلاد المغرب، حتى ظهور دعوة ابن تومرت وقيام دولة الموحدين، وذلك لكي نتعرف على مكان هذه الدعوة بين تلك الدعوات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم أعقبت ذلك بالحديث عن دعوة ابن تومرت في مراحلها الأولى، حيث تحدثت عن نشأة ابن تومرت، ثم بدئه بدعوته حتى ظهور تلك الدعوة وانتشارها في بلاد المغرب حينما قامت دولة الموحدين.

وبعد ذلك بسطت القول في الأسس الفكرية التي قامت عليها دعوة ابن تومرت حيث ذكرت أهمها، ومدى انسجامها مع النهج الإسلامي الصحيح.

وفي الختام ذكرت موقف أتباع ابن تومرت من دعوته بعد وفاته، حيث تتبعت موقف الموحدين عنها، والمراحل التي مروا بها أثناء تخليهم عن هذه الدعوة.

وقد حاولت خلال هذه الدراسة أن أسلك المنهج النقدي التحليلي، لا السرد التاريخي، معتمداً في ذلك – بعد الله سبحانه – على ما خلفه لنا ابن تومرت من تراث فكري يصور لنا تلك الدعوة تصويراً دقيقاً، بالإضافة إلى ما دونه لنا المؤرخون المعاصرون لهذه الدعوة من مادة علمية قيمة، أحاطت بمعظم جوانب هذا الموضوع.

تمهيد:

مني العالم الإسلامي، منذ عصر صدر الإسلام، حتى عصرنا الحاضر، بظهور العديد من الدعوات والدول التي لبست ثوب الإسلام، واتخذته شعاراً ظاهراً، لتحقيق مطامح ومطامع خفية تهدف إلى النيل من الإسلام، وحرب المسلمين بشعار الإسلام وأسمه، وما دعوات الرافضة، والقرامطة، والعبيديين، وابن تومرت، إلا ضرباً من تلك الدعوات والدول، على مدار التاريخ الإسلامي.

وإذا كانت الدعوات، والدول الثلاث الأولى، قد كتب عنها كثير من المؤرخين والكتاب المحدثين[1]، وأبانوا حقائقها، وكشفوا زيفها وبطلانها، فإن دعوة ابن تومرت كان نصيبها من الدراسات النقدية الموضوعية قليل – في نظري – ولهذا خفي على كثير من المسلمين حقيقتها، لاسيما وقد سماها مؤسسها بدعوة الموحدين فظنوا بها خيراً، ونسبوها إلى الصلاح والاستقامة، على الرغم من كونها على خلاف ذلك، كما يظهر من تراثها الفكري، وتاريخ مؤسسها وداعيتها الأول محمد بن تومرت، وهذا ما دفعني إلى دراسة هذه الدعوة، والتعرف على أسسها العقدية، واتجاهها الفكري لكشف ما بها من انحراف عن الخط الإسلامي الأصيل معتمداً في ذلك بعد الله – سبحانه وتعالى – على أقوال ابن تومرت وأفعاله، وما دونه لنا المؤرخون المعاصرون لتلك الدعوة، حيث أن تراث ابن تومرت الفكري ومؤلفاته، وكذلك ما دونه لنا المؤرخون المعاصرون لتلك الدعوة والذين هم من تلاميذ ابن تومرت من أمثال، البيذق[2]، وابن القطان[3]، وابن صاحب الصلاة[4]، موجودة بين أيدينا، إضافة إلى أن الفترة التي ظهرت فيها تلك الدعوة حظيت بوجود العديد من المؤرخين الذين عاصروها، أو عاشوا قريباً منها، فكتبوا عنها، وهم شهود عيان لما كتبوا، أو قريبون من عصرها من أمثال: ابن الأبار (ت**568**هـ)، والمراكشي (ت**747**هـ)، وابن عذارى (ت أوائل ق**8**هـ). وغيرهم.

وسأنهج في دراستي لدعوة ابن تومرت، أن أقوم أولاً بتتبع نشأة تلك الدعوة، وبيان المراحل والأطوار التي مرت بها، ثم أخلص بعد ذلك إلى بيان أهم الأسس الفكرية التي قامت عليها، ومدى قربها أو بعدها من الأسس الإسلامية الصحيحة، ولكن قبل أن نشرع بذلك قد يكون من المناسب أن أتحدث – بإيجاز – عن الاتجاهات الفكرية للدول الإسلامية التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي – الشمال الأفريقي – منذ القرن الثاني، وحتى القرن الخامس الهجري، لنعرف مكان دعوة ابن تومرت بينها، والأرضية التي ظهرت فيها تلك الدعوة، وأصبح لها كيان سياسي يحميها.

المغرب قبل دعوة ابن تومرت:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بدأ ظهور تلك الكيانات السياسية في الشمال الأفريقي حينما ضعفت قبضة الخلافة الإسلامية بالمشرق على تلك الديار، حيث قام هناك العديد من الدول الإسلامية التي أعلن بعضها استقلالها عنها، بينما بقى البعض الآخر منها موالياً لها ولاءاً صورياً، وكما تباينت ولاآت هذه الدول، فقد تباينت أيضاً اتجاهاتها ومشاربها الفكرية، حيث انقسمت إلى أربعة اتجاهات رئيسة هي:

1 – الاتجاه السني ويمثله دولتا الأغالبة والمرابطين والدولة الزيرية الصنهاجية في آخر عمرها:

وقد أسس دولة الأغالبة في المغرب الأدنى إبراهيم بن الأغلب ابن سالم التميمي الذي عينه الخليفة العباسي هارون الرشيد (**170 – 193**هـ) سنة **184**هـ على ولاية إفريقية، ثم ما لبث أن عرض على الرشيد الاستقلال الجزئي عن الخلافة العباسية، والاكتفاء بالتبعية الإسمية مقابل دفعه للخلافة العباسية مبلغاً من المال في كل سنة، فوافق له الرشيد على هذا الطلب[5].

وقد توالت على عرش دولة الأغالبة عدد من الأمراء كان آخرهم زيادة الله بن عبدالله بن الأغلب (**290 – 296**هـ)، حيث حصل في فترة حكمه انقسام داخلي بين الأغالبة أنفسهم، مما ساعد الدولة العبيدية على القضاء على دولتهم سنة **296**هـ[6].

وقد عمل الأغالبة – حين مدة حكمهم – على توطيد المذهب السني ونشره في البلاد التي خضعت لنفوذهم في بلاد المغرب، وصقلية، كما عملوا أيضاً على نشر الحضارة الإسلامية في تلك الديار[7].

أما دولة المرابطين (**451 – 541**هـ) فقد قامت في بادئ أمرها في جنوب بلاد

المغرب الأقصى على يد الفقيه عبدالله بن ياسين[8]، والأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي، ثم يحيى بن عمر اللمتوني، وذلك في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[9].

وقد قامت دولة المرابطين على أسس إسلامية سليمة، حيث نهجت نهج أهل السنة والجماعة، ولم تتأثر بأي نزعة دينية أخرى، وكان من أهم الأسس التي تبنتها ((الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزام أحكام الدين في فروض الزكاة والإعشار...))[10].

ولما تولى السلطان يوسف بن تاشفين (**453 – 500**هـ) أمر المرابطين بسط سلطانه على المغرب الأقصى ثم الأندلس، حيث حملت دولة المرابطين لواء الجهاد في سبيل الله ضد النصارى بالأندلس[11]، وفي مستهل القرن السادس الهجري بدأ الضعف ينتاب دولة المرابطين لا سيما بعد ظهور دعوة ابن تومرت في بلاد المغرب الأقصى، ثم ما لبث الموحدون أن قضوا عليها حينما دخلوا مدينة مراكش وقتلوا السلطان إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (**539 – 541**هـ) سنة **541**هـ[12]، وبهذا تمكن الموحدون من أن يقيموا دولتهم على أنقاض دولة المرابطين في المغرب والأندلس.

وبالإضافة إلى هاتين الدولتين السنيتين، فإن الدولة الزيرية الصنهاجية قد نهجت النهج السني في آخر عمرها وذلك حينما أعلن المعز بن باديس (**406 – 453**هـ) انفصاله عن الدولة العبيدية في سنة **440**هـ، حيث خلع طاعتهم، وأخذ بمذهب أهل السنة كما لعن الرافضة وقتل من وجده في دياره منهم، ثم ما لبث أن دعا للخليفة العباسي القائم بأمر الله (**422 – 467**هـ)[13] وبهذا تحول اتجاه هذه الدولة إلى الاتجاه السني، بعد أن كان تجاهها رافضياً.

2 – الاتجاه الخارجي[14] ويمثله دولتا المدراريين (140 – 347هـ) والرستميين (144 – 296هـ):

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد قامت دولة بني مدرار في سجلماسة جنوب المغرب الأقصى سنة **140**هـ، على يد عيسى بن يزيد المكناسي، والذي كان يدين بالمذهب الصفري أحد الاتجاهات الرئيسة عند الخوارج[15]، حيث بسطت هذه الدولة سلطانها على منطقة سجلماسة جنوب بلاد المغرب الأقصى[16].

وفي سنة **155**هـ قتل أهل سجلماسة زعيمهم عيسى المكناسي لمآخذ أخذوها عليه، ثم ولوا بعده أبا القاسم سمعون بن واسول الملقب بمدرار (**155** – **167**هـ)[17]، وقد توالى على عرش الدولة أبناؤه وأحفاده من بعده حيث تذبذبوا في ولاءهم المذهبي والسياسي، فمنهم من خطب للعباسيين، ومنهم من خطب للعبيديين، فلما تولى محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار (**332** – **347**هـ) أعلن خروجه على المذهب الخارجي، وأخذ بالمذهب السني، لكن العبيديين قضوا عليه حينما هاجم جوهر الصقلي سجلماسة سنة **347**هـ وبوفاته انتهت دولة بني مدرار[18].

أما دولة الرستميين، والتي كانت تنهج المذهب الأباضي، فقد أسسها في بلاد المغرب الأوسط عبدالرحمن بن رستم (**144** – **171**هـ) سنة **144**هـ، حيث اتخذ مدينة تاهرت حاضرة له[19].

ولما توفي عبدالرحمن بن رستم سنة **171**هـ ترك الأمر شورى بين سبعة من رجال الدولة الرستمية، وقد اختلف هؤلاء السبعة، فبينما رأى بعضهم مبايعة ابنه عبدالوهاب، رأى آخرون[20] مبايعة مسعود الأندلسي أحد السبعة الذين ترك عبدالرحمن الأمر فيهم، لكن مسعود تنازل لعبدالوهاب، بعد أن كادت الفتن تعصف بالدولة[21].

وقد استمرت هذه الدولة تحكم بلاد المغرب حتى قضى العبيديون على آخر أمرائها وهو اليقطان بن أبي اليقطان (**292** – **296**هـ) وذلك سنة **296**هـ[22]، لكن سقوط هذه الدولة لايعني سقوط المذهب الخارجي في بلاد المغرب فقد استمر وجود هذا المذهب هناك حتى بعد سقوط تلك الدولة[23].

3 – الاتجاه الرافضي ويمثله دولة العبيديين:

وهذا الاتجاه كان آخر الاتجاهات الفكرية دخولاً لبلاد المغرب إذ أن الدولة العبيدية التي نشرت هذا المذهب هناك، لم تقم في بلاد المغرب الأدنى إلا في سنة **296**هـ[24].

والدولة العبيدية تدين بالمذهب الرافضي الإسماعيلي حيث تستند إلى أساسين هامين هما:

* العلم الالهي الموروث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – عن طريق علي بن أبي طالب ثم أولاده من بعده.

* أما الأساس الثاني فهو الوصية أو النص على ولاية العهد، ولهذا فهم يرون كما يرى غيرهم من الرافضة أن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يستحق الخلافة بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – لا عن طريق الكناية وحدها بل عن طريق النص أيضاً[25].

وبالرغم من كون الدولة العبيدية قد تمكنت من القضاء على الأغالبة، والرستميين، والمدراريين، والأدارسة فاستطاعت بذلك – إلى حد ما – أن تبسط سلطانها السياسي على معظم أقاليم بلاد المغرب، إلا أنها لم تتمكن من فرض مذهبها الديني على مكان تلك البلاد، وذلك لأن الناس لم يتقبلوا أفكار العبيديين لما فيها من غلو وشطط لم يألفه سكان تلك الديار، بل إنهم تطلعوا إلى خلافة سنية جديدة قامت في الأندلس هي الخلافة الأموية بالأندلس[26]، وهذا بلا شك من الأسباب القوية التي جعلت العبيديين يرحلون عن بلاد المغرب إلى مصر سنة **362**هـ[27].

4 – الاتجاه الاعتزالي[28] ويمثله دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى (**172** – **313**هـ):

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أقام هذه الدولة إدريس بن عبدالله بن الحسن سنة **172**هـ، وذلك حينما آوته قبيلة أوربة البربرية[29]، حيث امتدت حدود دولة الأدارسة من المحيط الأطلسي غرباً إلى تلمسان ووهران شرقاً[30].

ولما توفي ادريس بن عبدالله سنة **177**هـ بقي الأمر في سلالته حتى قضى على دولتهم العبيديون عام **313**هـ[31].

وكان الأدارسة يطمحون[32] إلى توحيد العالم الإسلامي تحت قيادتهم مستندين في ذلك إلى أصلهم الشريف[33]، وقرب نسبهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولكنهم يظهروا شيئاً من التشيع كما يبدو هذا من خلال استقراء تاريخ تلك الدولة، ولهذا يبدو ليس مقبولاً ما يميل إليه أحد الباحثين من أن دولة الأدارسة قد أخذت بالمذهب الشيعي[34] الزيدي[35]، ولعل السبب في هذا القول هو تبني الرافضة لأفكار المعتزلة في القرون المتأخرة فيما لا يتعلق بالإمامة.

أما تبني دولة الأدارسة للمذهب الاعتزالي فقد ذكر عدد من الكتاب والمؤرخين[36] أن هذا المذهب قد انتشر في بلاد المغرب الأقصى، وأن قبيلة أوربة البربرية والتي ساعدت إدريس في إقامة دولته كانت معتزلية، ولهذا فقد أقر إدريس الثاني لهم نشر المذهب في دولته.

وهكذا تبنت دولة الأدارسة المذهب الاعتزالي، ولكن الذي يبدو هو أن زعماء هذه الدولة لاسيما القدماء منهم وجدوا أن هذا المذهب قد انتشر في بلاد المغرب الأقصى خاصة بين أفراد قبيلة أوربة التي ساعدت إدريس الأول في إقامة دولته، ولهذا لم يجدوا مناصاً من إظهار موافقتهم الظاهرية لهذا الفكر ليبقى في دولتهم بعد قيامها مراعاة منهم لزعماء قبيلة أوربة الذين تبنوه وعملوا على نشره، لكن الأدارسة لم يظهروا حماساً لنشره وجعله مذهباً رسمياً لدولتهم.

كان هذا عرضاً – سريعاً – للاتجاهات الفكرية الرئيسة التي وجدت في بلاد المغرب حتى ظهور دعوة ابن تومرت، وهذه الاتجاهات كان لها ثقل مذهبي وسياسي، حيث أن كل واحد منها قد حمته دول أو دولة من القوى السياسية التي نشأت في تلك الديار، وهذا بلا شك هو الذي أكسب تلك الاتجاهات هيبة ومكانة عند الناس، مما ساعد على شيوعها وانتشارها في مناطق جديدة من بلاد المغرب.

وبالإضافة إلى هذه الاتجاهات الفكرية الأربعة الرئيسة فقد كان هناك اتجاه خاص هو اتجاه دولة الموحدين التي قامت على أسس قوية من دعوة ابن تومرت الذي كان يجمع بين هذه الاتجاهات وغيرها من الاتجاهات الفكرية الأخرى، إذ أن محمد بن تومرت مؤسس هذه الدولة استقى من جميع هذه المشارب بل زاد عليها ما يرى أنه يخدم ميوله ويحقق أهدافه، ولهذا جاءت الأسس الفكرية لدعوته ثم لدولة الموحدين خليطاً مضطرباً ونسيجاً فكرياً متبايناً – كما سنرى –.

دعوة ابن تومرت في مراحلها الأولى:

ولد محمد بن عبدالله بن تومرت الصنهاجي، في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجري ببلاد المغرب الأقصى، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة مولده[37]. حفظ ابن تومرت القرآن الكريم، ودرس بعض العلوم الإسلامية في بلاد المغرب في صباه، ثم ارتحل منها سنة **501**هـ حيث زار قرطبة ودرس ملفات ابن حزم الظاهري[38].

ثم ارتحل بعد ذلك إلى المشرق، حيث تنقل بين عواصمه الثلاث (بغداد) و(مكة) و(القاهرة)[39]، وقد أفاد من هذه الرحلة علماً غزيراً لاسيما في العلوم العقلية واللسانية[40]، حيث أعانه على ذلك ذكاؤه المفرط، ومثابرته وهمته العالية[41].

وفي طريق عودته إلى بلاده من بلاد المشرق مرّ بمكة، وفيها بدأ دعوته حيث أخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذاً يذكر ابن العماد الحنبلي أنه ((بدأ أولاً الإنكار بمكة فآذوه فقدم مصر...))[42].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هكذا كانت بداية ظهور دعوة ابن تومرت، أما الوضع السياسي لبلدان العالم الإسلامي في تلك الفترة – مطلع القرن السادس الهجري – فقد كان وضعاً مضطرباً فالخلافة العباسية بالمشرق قد دبّ فيها الضعف، كما أن دولة العبيديين بمصر قد كرهها الناس بسبب غلو حكامها وتشططهم العقدي، إلى جانب أعمالهم العدائية ضد الإسلام والمسلمين.

أما بلاد المغرب والأندلس فكانت في تلك الفترة تخضع لحكم دولة المرابطين، وكانت قبضتها قوية، واتجاهها اتجاه سني، حيث كان يتولى أمرها آنذاك السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (500 – 537هـ) وكان ورعاً مجاهداً مقبولاً عند الناس، وهذا ما جعل الطريق صعباً أمام ابن تومرت الذي بدأ ظهوره في بلاد المرابطين، ولهذا فان ابن تومرت ولكي يضمن لدعوته النجاح والانتشار سلك الخطوات التالية:–

1 – إظهاره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقمصه لأساليب وشخصيات المصلحين، فقد انتحل ابن تومرت صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ بهذا النهج منذ وقت مبكر وذلك حينما كان بمكة بعد عودته من العراق حيث استغل تجمع المسلمين فيها، فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ناله شيء من الأذى بسبب ذلك[43]، ومن مكة توجه إلى مصر وفيها استأنف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك حتى طرده العبيديون منها حيث خرج إلى بلاد المغرب[44].

ويبدو أن ابن تومرت كان يهدف من وراء إظهاره للأمر والنهي عن المنكر إلى تحقيق غرضين: الأول منهما هو لفت أنظار الناس إليه في البلاد التي مر بها حتى يعد من المصلحين، أما الثاني فهو تكوين بعض الخلايا السرية في تلك البلاد من الأفراد الذين يعجبون بمنهجه، وذلك ليكونوا دعاة إلى أفكاره ومبادئه، وقد نجح في ذلكم حيث يذكر البيذق أنه كان لابن تومرت بمصر واحد وخمسون رجلاً من أهلها ((وكانوا له مثل أعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لأمره مؤمنين به. ولما تبين حالهم بذلك اختار لهم الاقامة هناك))...[45].

ولما وصل إلى بلاد المغرب نزل بمدينة المهدية سنة 505هـ حيث كانت تخضع للأمير يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي[46] (501 – 509هـ)، وفيها واصل نشاطه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى الدخول في دعوته، حيث يذكر ابن خلدون أنه لما نزل بطرابلس أظهر ما يدعو إليه صراحة، كما أنكر على علماء المغرب عدم أخذهم بما يدعو إليه وينادي له[47].

وفي بلاد المغرب انتقل ابن تومرت من الجانب التنظيري في دعوته، إلى الجانب العملي حيث جد في تكوين قاعدة لدعوته، وكانت وسيلته المعلنة في ذلك هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة حلقات للتدريس ينشر من خلالها أفكاره ليستقطب بعد ذلك من يتقبلها من تلاميذه[48].

ويبدو أن جرأة ابن تومرت في الكلام، وتظاهره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى جانب كونه يتوجه في دعوته إلى التجمعات الشعبية العامة كانت من العوامل القوية لنجاح دعوته في هذه المرحلة[49]، حيث يذكر تلميذه البيذق، أنه ما أن حل ببلاد المغرب الأدنى حتى كثر حوله المؤيدون والأنصار، فاختار بعضهم ممن يتوسم فيهم القبول المطلق لدعوته ومخايل الذكاء والنجابة، وتوجه بهم إلى بلاد المغرب الأقصى[50].

كانت هذه هي الخطوة الأولى التي نهجها ابن تومرت لنشر دعوته، ومن خلال تتبعنا لهذه الخطوة ندرك أن ابن تومرت قد نهج عدد من السبل حتى يظهر دعوته للناس، ويجمع حوله المؤيدين والأنصار ومن هذه السبل ما يلي:

أ – أنه تدرج في إظهار دعوته، كما ألبسها الصبغة الإصلاحية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ب – أنه خاطب بها الجهال والسذج من الناس الذين لا يدركون حقيقة ما فيها من انحراف عن الخط الإسلامي الصحيح، حيث توجه بها إلى قوم صيام عن جميع العلوم كما يقول المراكشي[51].

ج – أنه كان يبالغ في إنكار المنكر على الحكام الذي يمر بديارهم كما فعل مع العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد صاحب بجاية[52]، ومع يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين[53]، وذلك لكي يكسب بهذه الجرأة مكانة عند الناس.

د – مما يلحظ على ابن تومرت أثناء هذه المرحلة في دعوته أنه بالرغم من تظاهره بالتقى والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنه كان لا يتورع عن الكذب حتى أثناء قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يذكر البيذق أنه كان إذا خشي بطشاً وهو يأمر بالمعروف خلط في كلامه حتى ينسب إلى الجنون[54]، وهذا النهج منهج كثير من الفرق الباطنية حيث يلجأون إلى الكذب وإلى العبارات الموهمة حتى لا تتكشف حقائقهم.

2 – وكانت الخطوة الثانية التي نهجها ابن تومرت في بداية دعوته، أنه جدّ في تكوين قاعدة قوية مؤمنة بالمباديء التي يدعو إليها، حيث أعد أفرادها إعداداً خاصاً، وذلك لكي يكونوا قاعدة شعبية لدعوته ثم لدولته، وقد بدأ بهذا النهج مند مستهل دعوته حيث تمكن من تكوين خلية في بلاد مصر قوامها واحد وخمسون رجلاً[55]، ولما انتقل إلى المغرب زاد من جهوده في هذا الميدان حيث أنشأ حلقات للتدريس كان يبث أفكاره من خلالها ولكي يؤصل تلك الأفكار في أذهان أتباعه ألف لهم كتاباً في العقيدة يتضمن الخطوط العريضة لأصول دعوته حيث طالبهم بحفظه[56].

وإلى جانب اهتمامه بتكوين القاعدة الشعبية، فإنه كان يحتمي بشوكة بعض القبائل البربرية حتى يضمن لنفسه الأمان، ولدعوته الانتشار في ظل حماية تلك القبائل، فهو حينما وصل إلى بجاية بعد عودته من مصر خشي من بطش الحماديين فلجأ إلى قبيلة بنورياكل – إحدى قبائل صنهاجة – فآووه وأجاروه ومنعوا الحماديين من النيل منه[57]، ولما انتقل إلى بلاد المغرب الأقصى وخاف من سطوة المرابطين ذهب إلى بلاد هرغة حيث نزل على قومه وقبيلته مصمودة فاحتمى بشوكتيهما من المرابطين، كما توفر له عندهم الجو المناسب لمواصلة الدعوة[58].

هكذا تمكن ابن تومرت من تكوين قاعدة شعبية قوية لدعوته، وقد كانت هذه القاعدة في غاية التلاحم والتفاهم مع القيادة مما أدى إلى إعجاب الناس بها ومن ثم تقبلهم لمبادئها.

3 – ومن الخطوات التى سلكها ابن تومرت تحديد موقفه من دولة المرابطين والتي كانت تبسط سلطانها السياسي على بلاد المغرب، وقد جاء عمله بهذه الخطوة متأخراً بعض الشيء إذا ما قورن بالخطوتين السابقتين، وذلك لأن ابن تومرت لم يرد أن يحدد موقفه من دولة المرابطين، إلا بعد أن يشيع بين الناس ذكره، ويكون قاعدة شعبية يتكئ عليها في ساعات الخطر، فلما اطمأن إلى وجود هذه القاعدة، وإلى أنه لم يصبح نكرة عند كثير من الناس، أعلن رأيه في دولة الرابطين، متخذاً الأمر بالمعروف ستاراً ووسيلة لتحقيق غايته وطريقاً لإظهار مفاسد دولة المرابطين[59]، فبدأ بالطعن في عقيدة المرابطين ووصفهم بالتجسيم[60] والكفر والنفاق[61] كما قال لأتباعه بأن غزوهم ومقاومتهم أوجب[62] من حرب النصارى والمجوس[63].

هكذا أعلن ابن تومرت رأيه بدولة المرابطين حيث استغل تنقله بين مدن وأقاليم المغرب الأقصى لبيان هذا الرأي، وبهذا أصبح خطره يهدد كيان دولة المرابطين، حينئذ استدعاه السلطان علي بن يوسف ابن تاشفين وسأله: ما هذا الذي بلغنا عنك؟ فأجابه ابن تومرت في قوة بأنه يطلب الآخرة، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وأن هذه مسؤولية الحاكم قبل غيره،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان علي بن يوسف حين سمع ذلك أطرق برأسه إلى الأرض ملياً، ثم أمر الفقهاء بمناظرته واختباره[64]، فلما ناظروه تبين لهم حقيقة ما يحمله ابن تومرت من آراء ومعتقدات تخالف طريقة أهل السنة والجماعة، فأوصوا السلطان بسجنه سداً للذريعة. ودرءاً للفتنة لكن أحد المرابطين شفع فيه فأمر السلطان بإخراجه من مراكش ولم يسجنه[65].

أدرك ابن تومرت بعد ذلك المخاطر التي تهدده من قبل المرابطين، لا سيما أن دعوته قد وصلت إلى مرحلة الظهور والجهر بالأهداف، فقرر الانتقال إلى بلاد السوس مسقط رأسه حيث نزل على قومه وقبيلته مصمودة، سنة **515**هـ، وذلك لضمان الحماية اللازمة لدعوته ضد خطر دولة المرابطين[66].

وفي بلاد السوس أسس ابن تومرت مسجداً يجتمع به مع تلاميذه وزعماء قبيلته، حيث التف حوله الكثير من المؤيدين والأنصار، فاختار منهم نخبة لتكون قاعدة لدعوته حيث شرع في تدريسهم على شكل حلقات ودروس منظمة، وكان يؤصل في نفوس أتباعه موقفه من دولة المرابطين من خلال تلك الحلقات والدروس[67]، وبهذا استطاع أن يوجد حاجزاً نفسياً قوياً بين كثير من تلاميذه ودولة المرابطين، وهذا بلا شك مما ساعد على تهيئة كثير من الموحدين للتصدي للمرابطين، ومقاومتهم وهو ما كان يهدف إليه ابن تومرت.

ولما شعر ابن تومرت بقبول دعوته في أوساط الهرغيين، وأي توسيع إطاره المكاني، فاختار جماعة من تلاميذه حيث أرسلهم إلى بعض القبائل القريبة من بلاد السوس لاستمالتهم ودعوتهم إلى الخروج على طاعة المرابطين، وقد تمكن بواسطة هذا الأسلوب من استثارة كثير من القبائل البربرية ضد الدولة المرابطية[68].

كانت هذه هي خطوات ابن تومرت في تمهيد الطريق، وجهوده في تأسيس قواعد البناء قبل أن يدعو الناس إلى مبايعته بالإمامة، ويعلن قيام الدولة الموحدية، وبالإضافة إلى هذه الخطوات، فقد أعانه على اجتذاب المؤيدين والأنصار ما سار عليه من خطوات محكمة، إضافة إلى ما كان يتسم به كثير من أفراد القبائل البربرية
من سذاجة وجهالة، فضلاً عما كان يتمتع به ابن تومرت من ذكاء، وعلم وقدرة على التنظيم[69]، والتأثير[70].

اعلان ابن تومرت قيام دولته:

لما اطمأن ابن تومرت إلى قاعدته وحسن ولائها له، دعا الناس إلى مبايعته حيث يذكر ابن القطان أنه قام خطيباً فيهم ومما جاء في خطبته: "...الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى واسمه اسم للنبي ونسبه نسب النبي"[71].

وبعد هذه الخطبة قام الناس فبايعوه بالإمامة وكان ذلك في الخامس عشر من شهر رمضان سنة **515**هـ[72].

وهكذا نرى كيف أن ابن تومرت لم يجرؤ على إعلان أنه المهدي إلا بعد أن وثق من ولاء عامة الناس له، وفي هذا يقول ابن خلدون: "ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام"[73].

وقد جاءت مبايعة ابن تومرت إماماً للموحدين قرب مراكش، دون تصد ومقاومة من قبل المرابطين أصحاب السلطة الشرعية هناك، بل ودون إحساسهم بالخطر الداهم قرب عاصمتهم شاهداً على ضعف دولة المرابطين وقتذاك وعلى النجاح الكبير الذي حققه ابن تومرت لدعوته الناشئة آنذاك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أمضى ابن تومرت السنوات الثلاث التالية لسنة مبايعته في جهد متواصل، وعمل داؤب لدعوته حيث خاطب القبائل القريبة منه يدعوهم إلى الدخول في طاعته ونبذ طاعة المرابطين، فاستجابت له بعض القبائل[74] ولكي يوفر مزيداً من الأمن لدولته ودعوته غادر جبل إيجليز في بلاد السوس سنة **518**هـ إلى قرية تينملل[75] ببلاد هرغة وقد جاء اختياره لها بسبب حصانتها وموقعها المهم[76].

ويبدو أيضاً أن ابن تومرت أراد من ذهابه إلى تينملل الابتعاد عن زعماء قبيلته ليتوقى مغبة تدخلهم في شؤون دولته الناشئة لا سيما وهو في مرحلة وضع الأسس الأولى لها.

أصبحت تينملل بعد وصول ابن تومرت إليها عاصمة لدولة الموحدين الناشئة حيث قسم أراضيها وديارها على أصحابه الموحدين ليسكنوا فيها، كما بنى مسجداً وداراً له بينهم[77]، وفيها وضعت أسس دولة الموحدين ومنها انطلقت جيوشهم، كما وزع ابن تومرت مسؤوليات الدولة ووظائفها على أصحابها الموحدين حسب ولائهم لطاعته[78].

هكذا أصبحت بلاد السوس بالمغرب الأقصى تغلي حماساً وولاءاً لدعوة ابن تومرت لكنه توفي قبل أن يحكم البناء ويوسع إطار دعوته، حيث وافاه الأجل في شهر رمضان عام**524**هـ، وكانت مدة حكمه حوالي تسع سنوات[79]، وقد ترك حرباً مشتعلة بين أتباعه والمرابطين، وكل من خالف دعوة الموحدين في أرض المغرب الأقصى، كما خلف أتباعاً مؤمنين بدعوته محاربين لأجلها.

الأسس الفكرية لدعوة ابن تومرت:

بعد هذا العرض التاريخي – السريع – الذي تحدثنا فيه عن نشأة دعوة ابن تومرت منذ أن كانت فكرة، وحتى ظهرت إلى حيز الوجود، وأصبح لها كيان سياسي يحميها، ويدعو الناس إليها، نتحدث – بعون الله بشيء من التفصيل – عن الأسس الفكرية التي قامت عليها هذه الدعوة لنتبين هل كانت تلك الأسس إسلامية خالصة تسير حسب المنهج الإسلامي الصحيح؟ أم كانت خلاف ذلك؟ وذلك من خلال استقراء تاريخ هذه الدعوة، وما خلفه لنا ابن تومرت من تراث فكري ومن أهم الأسس التي قامت عليها دعوة ابن تومرت مايلي:–

1 – ادعى ابن تومرت النسب القرشي، وأنه من سلالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد أقر بعض المؤرخين هذا الادعاء[80]، كما قال به بعض الكتاب المحدثين[81]، لكن طائفة أخرى من المؤرخين أنكرت هذا الادعاء وقالت أن ابن تومرت دعي فيه فهو من هرغة إحدى قبائل المصامدة البربرية حيث عرف بمحمد بن تومرت الهرغي[82]، كما قال بهذا الرأي من الكتاب المحدثين محمد عبدالله عنان – رحمه الله – إذ يرى أن هذا الادعاء ما هو إلا نحلة باطلة، وثوباً مستعاراً قصد من ورائها ابن تومرت أن يدعم بها صفة المهدي الذي انتحلها أيضاً شعاراً لإمامته ورياسته[83]، كما يرى حسن محمود هذا الرأي حيث ذكر أن ادعاء ابن تومرت للنسب العربي ما هو إلا وسيلة لكسب الأنصار لدعوته الناشئة[84].

والمتتبع لتاريخ ابن تومرت يدرك أنه لم يظهر ادعاءه النسب القرشي دفعة واحدة بل إنه تدرج في هذا الأمر، حتى يضمن قبل الناس له، فبعد أن اطمأن إلى قبول دعوته، وإلى تمكنه من أتباعه، أخذ يشوقهم إلى المهدي ونسبه، ثم لما قبلوا هذا الأمر، ادعى ذلك الأمر لنفسه حيث قال لهم: ((أنا محمد بن عبدالله... ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم))[85]....

هكذا ادعى ابن تومرت النسب القرشي، وقد تبين لنا من خلال العرض السابق اختلاف وجهات نظر الكتاب والمؤرخين حول ذلك الادعاء، والذي يبدو أن هذا الادعاء ليس بصحيح وإنما أراد به ابن تومرت أن يصل إلى بعض المطامح والمطامع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حينما يضفي حول نفسه هالة تجر الناس إليه، وتدعوهم إلى الإعجاب به، وذلك عندما تتأصل محبته في نفوس الناس والذي يقود إلى هذا الاستنتاج ما يلي:

1 – أنه لم يشتهر بين المؤرخين لا سيما علماء الأنساب منهم أن ابن تومرت يعود إلى أصل عربي، وإنما معظم الذين قالوا بهذا هم من مؤرخي الدولة الموحدية الذين سجلوا تاريخها بوحي من سلاطينها وأمرائها، أو بتأثر بدعوة ابن تومرت.

2 – إن هذا الادعاء كان مألوفاً عند أصحاب المطامح الدينية والسياسية في بلاد المغرب – آنذاك – حيث انتهجه العبيديون[86] قبله، والمرينيون[87] والحفصيون[88] بعده، حتى يؤصلوا محبتهم في نفوس الناس الذين يحكمونهم.

3 – ويضاف إلى ما سبق أن انتساب ابن تومرت إلى الأصل العربي لم يكن معروفاً عند أتباعه إلا بعد أن ادعى ذلك لحاجة في نفسه – كما أسلفنا–.

2 – ومن الاتجاهات الفكرية لدعوة ابن تومرت أنه ادعى العصمة حيث قال عن نفسه: بأنه هو المهدي المعصوم، ثم أشاع ذلك بين أتباعه حتى أصبحوا يطلقون عليه لفظ العصمة دون حرج أو تردد[89]، وقد أكد هذا الأمر في مؤلفاته التي انتشرت بينهم إذ جاء فيها: ((ويجب أن يكون الإمام معصوماً من الباطل ليهدم الباطل، كما يجب أن يكون معصوماً من الضلال... ولابد أن يكون الإمام معصوماً من هذه الفتن وأن يكون معصوماً من الجور لأن الجائر لا يهدم الجور بل يثبته،.. وأن يكون معصوماً من الكذب لأن الكذب لا يهدم الكذب بل يثبته، وأن يكون معصوماً من الباطل... ولا يصح الاتفاق إلا باستناد الأمور إلى أولي الأمر وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم))[90].

كما قال بعصمة الامام من الزلل والفساد حيث قال: ((لا يقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد))[91].

وهكذا نرى كيف أن القول بالعصمة للأئمة أصبحت اتجاهاً قوياً من اتجاهات دعوة ابن تومرت الفكرية، وقد تمكن من تأصيل هذا الأمر عند أتباعه حتى أطلقوا عليه لقب المعصوم، وأصبح هذا اللقب من أشهر ألقاب ابن تومرت لدرجة أنهم كانوا يطلقونه عليه دون ذكر لإسمه بسبب اشتهاره به[92].

وقد حاول ابن تومرت أن يتدرج في إظهار هذا الأمر في باديء أمره، فبدأ أولاً بالتلميح لهم، ثم صرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة[93]، ولعل الذي دفعه إلى ذلك هو شعوره بأهمية النقلة التي يريد أن يكون عليها أتباعه، ولهذا بدأهم بالتدريج كما فعل معهم حينما قال بنسبه العربي.

والعصمة عند أهل السنة والجماعة لم تثبت إلا للأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – فيما يبلغون عن الله من شرع ولم يقولوا بها لسواهم حتى لكبار الصحابة الذين خصهم الله بالفضل، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وغيرهم[94].

ولكن ابن تومرت بهذا النهج يوافق الرافضة الاثنى عشرية الذين قالوا بالعصمة لأئمتهم حيث يقولون بوجوب عصمتهم من الكبائر والصغائر والخطأ والنسيان[95].

كما قالوا: إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان[96]. وهكذا نرى كيف غالى ابن تومرت في القول بالعصمة لنفسه، وهذا بلا شك انحراف عقدي خطير ((لأن من جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وأن لم يعطه لفظها))[97].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بل إنه لم يكتف بهذا الأمر حيث كان يأمر بقتل كل من يشك[98] في عصمته[99]، ولكي يؤصل هذا الادعاء عند أتباعه ألف لهم كتاب أعز ما يطلب[100]، وأمرهم بقرآته بل حفظه، وهذا بلا شك مما أصل فكر ابن تومرت ومحبته في نفوس أصحابه، ((إلى أن بلغوا في ذلك إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه، أو أخيه، أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء)) كما يذكر المراكشي[101].

وقد يكون هذا الوصف من قبل المراكشي فيه شيء من المبالغة لكنه يستوحى منه أن أتباع ابن تومرت قد اعتقدوا عصمته، ولهذا فإنه أصبح مطاع الأمر والنهي فيهم، حتى ولو كان ما يأمرهم به أمر محرم شرعاً.

3 – ادعى ابن تومرت أنه هو المهدي الذي وعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بخروجه في آخر الزمان، حيث قال في خطبته حين مبايعته إماماً للموحدين سنة **515**هـ: "الحمدلله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى، واسمه اسم النبي ونسبه نسب النبي"...[102].

كما يذكر المراكشي[103] أنه صرح لأصحابه بأنه المهدي المعصوم، وروى لهم في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر في نفوسهم أنه المهدي وبسط يده فبايعوه على ذلك، أما ابن خلدون فذكر أنه ((لما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام))[104].

ولم يكتف ابن تومرت بهذا الإجراء، بل إنه أكد لهم هذا الاتجاه الفكري في مؤلفاته التي طالب أتباعه بحفظها، والعمل بما جاء بها، ومما جاء بها عن قضية المهدي قوله: "إن العدل ارتفع، وأنا لجور عم، وإن الرؤساء الجهال استولوا على الدنيا، وإن الملوك الصم البكم استولوا على الدنيا، وإن الدجالين استولوا على الدنيا، وإن الباطل لا يرفعه إلا المهدي، وإن الحق لا يقوم إلا بالمهدي، وإن المهدي معلوم في العرب، والعجم، والبدو والحضر، وإن العلم به ثابت في كل مكان وفي كل أوان وآن"..[105].

وبعد أن قرر ابن تومرت مبدأ ظهور المهدي، عدد صفاته بقوله: "إنه فرد زمانه صادق في قوله، وأنه يملأها بالعدل – يعني الأرض – كما ملئت بالجور، وأن أمره قائم إلى أن تقوم الساعة"..[106].

ثم ذكر بعد ذلك المهام التي سيقوم بها المهدي حيث بينها بقوله: "وأنه – يعني المهدي – معصوم فيما دعا إليه من الحق لا يجوز عليها لخطأ وأنه لا يكابر، ولا يضاد، ولا يدافع ولا يعاند، ولا يخالف ولا ينازع... وأنه صادق في قوله، وأنه يقطع الجبابرة والدجاجلة، وأنه يفتح الدنيا شرقها وغربها، وأنه يملؤها بالعدل كما ملئت بالجور"..[107].

هكذا كان رأى ابن تومرت في المهدي، كما يصور ذلك تراثه الفكري، ويلاحظ هنا كيف تجرأ ابن تومرت فكذب على الله ورسوله حينما حدد مكان ظهور المهدي بالمغرب الأقصى مع أن الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لم تشر إلى ذلك[108]. ولما كان هذا الادعاء من قبل ابن تومرت فيه شطط وانحراف عن المنهج الإسلامي الصحيح، الأمر الذي قد يثير ضده كثيراً من المعارضين الذين قد لا يقبلون مثل هذا القول، فإنه أحاط دعواه بالمهدية بسياج قوي من الأحكام الصارمة ضد الخارجين عليها، حيث أمر بالقيام بعمليات التمييز ضد أولئك المكذبين أو المعاندين والمكابرين للمهدي كما أحل دمهم[109].

وبهذا العرض لنظرية المهدي كما يراها ابن تومرت، ندرك أنه قد حاول تأصيلها في نفوس أتباعه، وأنه قد وضع ضوابط تنطبق عليه، ليصل من خلالها إلى ما يريد، ولتكون جسراً يحقق بواسطتها مطامعه وطموحاته، وقد أخذ كثيراً من أتباعه هذا الادعاء بالقبول حيث أصبحوا يلقبونه بالمهدي بعد أن كانوا يلقبونه بالإمام[110].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

4 – أن ابن تومرت تأثر بكثير من المذاهب والفرق الإسلامية، حيث أخذ منها ما يلائم اتجاهاته، ويخدم أهدافه، ولهذا جاء تراثه الفكري خليطاً مضطرباً متأثراً بكثير من النزعات الفكرية الغالية، فهو في مسألة الإمامة يقول برأي الرافضة حيث ضمن كتابه أعز ما يطلب هذا الرأي حين حديثه عنها حيث قال: "لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب الإمامة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق"..[111].

وهو بهذا القول يوافق الشيعة الذين يجعلون الإمامة أصلاً من أصول الدين حيث أنهم يقولون: "إن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا باعتقادها ولا يجوز فيها تقليد الأباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة"[112].

كما وافق ابن تومرت الرافضة في تصوره للإمامة حيث يعتبر أن هذه الواجبات إزاء الإمام إذا ما أقيمت تم بها الأمر، وثبت بها العمود الذي قامت عليه السموات والأرض وهو الإمام، أما متى ضيع أمر الإمام أو عصى أو نوزع أو خولف أو أهمل فإنه ينتج عن ذلك مفاسد كثيرة[113].

كذلك تأثر ابن تومرت بمذهب المعتزلة حيث قال ببعض آرائهم كقوله: إن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، كما سمى مرتكب الكبيرة بالفاسق ولم يسمه بالمؤمن أو الكافر، وهذا قريب من مذهب المعتزلة[114].

كما وافقهم، في نفي الصفات عن الله – سبحانه[115] – حيث قال حينما تحدث عن صفات الله: "واشتغلوا بتعلم التوحيد فإنه أساس دينكم، حتى تنفوا عن الخالق التشبيه، والشريك، والنقائص، والآفات، والحدود والجهات، ولا تجعلوه سبحانه في مكان ولا في جهة فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن"[116].

هكذا تبنى ابن تومرت مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات حيث نفى كل ما عساه أن يوهم الشبه والمثلية لله سبحانه حتى ولو كان ذلك من الأسماء والصفات الثابتة لله في الكتاب والسنة، ولهذا سمى أصحابه بالموحدين[117]، لأنهم في رأيه هم الذين يوحدون الله حقاً لنفيهم الصفات عن الله سبحانه وتعالى[118]، كما كان يسمى أتباعه بالمؤمنين ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم[119].

كما نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة في تأويل بعض صفات الله – سبحانه وتعالى – حيث يذكر ابن خلدون أن ابن تومرت هو الذي حمل أهل المغرب على القول بالتأويل والأخذ بالمذهب الأشعري في كافة العقائد[120]، كما ذكر المراكشي أن ابن تومرت ضمن تصانيفه مذهب الأشاعرة في كثير من المسائل، حيث كان ((...جُل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية...))[121] أما المقريزي فيرى أن ابن تومرت تعلم المذهب الأشعري أثناء وجوده في بلاد العراق، فلما عاد إلى بلاد المغرب، وأخذ بتعليم أصحابه علمهم المذهب الأشعري فكان ذلك سبباً في انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب[122].

وبالإضافة إلى ما سبق فإن الدارس لتراث دعوة ابن تومرت يدرك أنه قد تأثر بكثير من آراء الخوارج لا سيما في التساهل بسفك الدماء، ومقاومة السلطان الجائر حتى جعله ضرباً من الجهاد في سبيل الله، كما أخذ برأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، وقد أدرك هذا التأثر علماء المرابطين كما يذكر ابن الخطيب[123].

وبعد هذا العرض يتبين لنا أن دعوة ابن تومرت قد تأثرت بآراء كثير من الفرق والمذاهب الإسلامة، فهي ليست أشعرية بحتة، وليست معتزلية تقوم على الأدلة العقلية وحدها، وليست خارجية كما ظنها علماء المرابطين، وهي أيضاً ليست رافضية في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كل اتجاهاتها، بل هي مزيج مضطرب من أغلب الفرق والمذاهب الإسلامية، ولهذا فإنه يبدو من المقبول أن يطلق عليها العقيدة التومرتية، وذلك لتميزها عن كل المذاهب السابقة بمنهج مستقل[124].

ومما لا شك فيه أن هذا التأثر العقدي والفكري الذي انتاب دعوة ابن تومرت كان له أثره بعد ذلك على بلاد المغرب، حيث أن هذه الدعوة أصبح لها كيان سياسي يحميها، وهذا الكيان امتد نفوذه السياسي وظله الفكري على معظم بلاد المغرب، وقد أدرك هذا التأثر المؤرخ المغربي السلاوي، حيث صوره بقوله: "...وأما حالهم – يعني أهل المغرب – في الأصول والاعتقادات فبعد أن طهرهم الله من نزعة الخارجية أولاً والرافضية ثانياً أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف – رضي الله عنهم – في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر... واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة"[125].

وهكذا اعتبر السلاوي خروج ابن تومرت في بلاد المغرب خروجاً لأهله عن مذهب أهل السنة والجماعة، وذلك لتأثرهم بدعوته التي كانت متأثرة بآراء وأفكار كثير من الفرق الإسلامية مما أبعدها عن منهج أهل السنة والجماعة.

5 – ومن الاتجاهات الفكرية الخطيرة التي تبناها ابن تومرت، أنه كفر من لم يؤمن بما يقول، ويعتنق ما يدعو إليه، واستباح دمه حتى ولو كان من أتباعه[126]، كما قال بكفر دولة المرابطين ووجوب جهادها، ولتأصيل هذا المبدأ في نفوس أصحابه فقد صرح به في أكثر من مناسبة، كما ضمنه كتبه التي ألفها لهم، ورسائله التي كان يبعثها إلى الموحدين حيثما كانوا، حيث جاء في إحدى رسائله أن المرابطين قد عملوا ((... على إهلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم، وخراب ديارهم، وفساد بلادهم، وسفك دماءهم، واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ أموال اليتامى والأرامل...))[127] ويذكر المراكشي أنه لما توجه جيش الموحدين إلى قتال المرابطين سنة **517**هـ أوصى أفراد ذلك الجيش بقوله: "اقصدوا هؤلاء المراقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم"..[128].

وبالإضافة إلى هذه التهم الواضحة الصريحة التي قال بها ابن تومرت ضد دولة المرابطين، فإن القاريء لكتاب أعز ما يطلب يدرك أن ابن تومرت قد شحنه بالافتراءات والدعاوي الباطلة ضدهم، بل إنه قد أفرد فصولاً خاصة منه لهذا الغرض[129].

وقد تنبه المرابطون لهذه التهم الموجهة ضدهم فأخذوا بالتصدي لها حيث بينوا للناس كذب تلك التهم التي ألصقها بهم ابن تومرت، وأنها مخالفة للحقيقة، ولكن هذا العمل لم يثن ابن تومرت عن حربه الدعائية بل إنه كثف جهوده في هذا الميدان، ومما جاء في إحدى رسائله التي وجهها لهذا الغرض ((واعلموا وفقكم – يعني أتباعه – أن المجسمين والمكابرين وكل من نسب إلى العلم، أشد في الصد عن سبيل الله من إبليس اللعين فلا تلتفوا إلى ما يقولون فإنه كذب وبهتان وافتراء على الله ورسوله))[130].

كان هذا هو رأي ابن تومرت في دولة المرابطين، وموقفه من تلك الدولة السنية، التي أقامت كيانها على مذهب أهل السنة والجماعة والدعوة إلى الله على هدى من سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد طعن في عقيدتهم ووصفهم بأنهم مجسمون وكفار لا تجوز طاعتهم، ولا الولاء لهم، بل يجب جهادهم، ولهذا قاتل الموحدون المرابطين، قتال المسلمين للكفار حسب اعتقادهم، وما ذلك إلا بسبب أن ابن تومرت قد نحى في حربه للمرابطين منحي فكرياً عقدياً غالى فيه حتى أصبح العداء للمرابطين اتجاهاً فكرياً واضحاً عند ابن تومرت وأتباعه المخلصين لدعوته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومما لا شك فيه أن هذا الاتجاه الذي حدده ابن تومرت من دولة المرابطين، قد أثر على معنويتها، ثم على كيانها السياسي، وذلك لأن كثيراً من الناس قد تبنوه، ومن ثم انبروا للعمل على حرب هذه الدولة، والسعي إلى إسقاطها لتقوم دولة ابن تومرت على أنقاضها[131].

6 – تساهل ابن تومرت في إراقة الدماء، دونما مسوغ شرعي، حيث كان لا يتردد في ذلك، حينما يرى أنه يخدم دعوته، أو يحقق شيئاً من مطامحه مهما كانت التضحيات المقدمة لهذا الغرض، وقد تأصل هذا العمل عند ابن تومرت حيث ألبسه لباساً دينياً حتى أصبح اتجاهاً دعوياً واضحاً في دعوته، ومن نماذج عمله في هذا الميدان ما ذكره ابن القطان – أحد تلاميذ ابن تومرت – أنه كان يعظ تلاميذه وأنصاره في كل وقت ((... ومن لم يحظر أدب فإن تمادى قتل، وكل من لم يحفظ حزبه عزر بالسياط، وكل من لم يتأدب بما دأب به ضرب بالسوط بالمرة والمرتين فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل ومن داهن... قتل))[132].

كما ذكر كل من البيذق[133]، وابن القطان[134]، وغيرهما من المؤرخين[135] أن ابن تومرت كان يقوم بما يسمى بعملية التمييز لأتباعه حيث يقتل كل من يشك في ولائه لدعوته، وقد ذكر لنا البيذق وصفاً لعملية التمييز التي قام بها ابن تومرت قبل موقعة البحيرة سنة **524**هـ حيث قال: "فأمر بالميز فكان البشير[136] يخرج بالمخالفين المنافقين والخبثاء من الموحدين، حتى امتاز الخبيث من الطيب ورأى الناس الحق عياناً، وازداد الذين آمنوا إيماناً وذاق الظالمون النار، فظنوا مواقعوها، وما لهم عنها من محيص... فمات يومئذ من الناس خمس قبائل"..

ويبدو أن الذي دفع ابن تومرت للقيام بعمليات التمييز لا سيما في تلك السنة هو تراجع عدد كبير من الداخلين في دعوته عنها، وذلك بسبب ما تحمله من غلو وشطط، فقام بهذه العملية للتخلص من الذين يشك في إخلاصهم خشية أن يقوى رد الفعل المضاد لدعوته[137]، ولما حل ابن تومرت بتينملل، أواه أهلها، وأعلنوا طاعتهم له، لكنهم كانوا كثيري العدد وافري العدة، وفي منعة بسبب حصانة مدينتهم، فأمرهم ابن تومرت بأن يحضروا إلى المسجد بغير سلاح فلما فعلوا ذلك عدة مرات أمر بعض أتباعه المقربين أن يقتلوهم ففعلوا، ثم دخلوا المدينة وقتلوا منها عدداً كبيراً من الرجال حتى بلغ عدد الذين قتلوا بهذه الحادثة خمسة عشر ألف رجل[138].

ولكي لا تحدث هذه الأعمال رد فعل عند أتباعه، أو تلقى معارضة عند الناس، فإنه كان يظهر لأصحابها أنه يقوم بشيء من الخوارق والمعجزات حتى يؤصل في نفوس الناس شرعية ما يقوم به، ويدعو إليه، فقد ذكر المؤرخون أنه كان يتوطأ مع بعض أصحابه على أن يدفنهم في المقابر وهم أحياء، حيث يترك لهم مكاناً للتنفس، ويأمرهم بأن يكلموه إذا دعاهم، وليشهدوا له بما يطلبه منهم كأن يشهدوا بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وأن من اتبعه أفلح، ومن خالفه خسر، وحينما يسمع أتباعه أن الموتى يكلمونه، ويشهدون له بصحة ما يدعو إليه يعظم اعتقادهم فيه، وتتأكد طاعتهم له، أما أولئك المقبورون فإنه بعد أن ينهوا المهمة التي من أجلها قبوروا يستبيح دمائهم حيث يهدم عليهم قبورهم حتى يموتوا لكي لا يفشوا سره بعد ذلك[139].

هذه صور وأمثلة للأعمال التي قام بها ابن تومرت واستحل بها دماء الناس المعصومة بغير حقها، حتى ولو كانوا من أنصاره أو المقربين إليه، ولا شك أن هذا العمل يعد في نظر الإسلام كبيرة من كبائر الذنوب حتى ولو كان المقتول شخصاً واحداً، فكيف يجوز لابن تومرت أن يقدم على هذه الأعمال المتنافية مع الشرع الحنيف وهو يحسب نفسه داعية إلى الله بل مهدياً معصوماً!؟.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتكون هذه الأعمال التى قام بها ابن تومرت في ميدان سفك الدماء دليلاً آخر على أنه قد تشطط في دعوته، وخرج بها في بعض تصرفاته عن النهج الإسلامي الصحيح.

ومن العجيب الغريب حقاً أن أحد الباحثين المحدثين قد حاول أن يبرر هذه الأعمال التي قام بها ابن تومرت، حيث ادعى أن نسبتها إلى ابن تومرت قد داخلها عامل الهوى فلم تكن معبرة عن حقيقة ما يجري، كما قال إن هذه المآخذ ذكرها صنفان من المؤرخين: الصنف الأول منهما طائفة عرفت بالانتصار للمهدي، وموالاة ابن تومرت، والتشيع لدولة الموحدين مثل ابن القطان، والبيذق، وغيرهما. أما الصنف الثاني فهم أولئك الذين عرفوا بالقدح في دعوة ابن تومرت والطعن في إمامها مثل ابن عذارى وابن أبي زرع، وابن الأثير وغيرهم[140]، وقد رد هذا الكاتب كل ما ذكره هذان الصنفان بحجة أن الصنف الأول منهما ربما نقلوا هذه الأحداث عن بعض المفتونين بابن تومرت، أو اصطنعوها من عندهم، على أنها من مفاخر ابن تومرت وكراماته، ومن مظاهر قوته وشدة بأسه واطلاعه على الغيب، وأوردوها في نطاق إيمانهم بأن الإمام لا يسأل عما يفعل لأنه المؤيد بالهداية الإلهية.

أما الصنف الثاني، فقد رد رواياتهم بحجة ان ابن أبي زرع، وابن عذارى كانا قد كتبا تاريخهما في ظل الدولة المرينية التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية، وعملت على التهجم عليها والنيل منها، أما ابن الأثير فقال عنه إنه لم يكن خبيراً ولا مطلعاً على شؤون المغرب وأخباره وإنما كان ناقلاً عن غيره من غير رؤية أو تمييز[141]. والذي يبدو أن هذه التبريرات التي أوردها هذا الباحث غير علمية وبالتالي ليست مقبولة، فلو قبلنا – جدلاً – ما قاله عن الطائفة الثانية فكيف نقبل ما قاله عن الطائفة الأولى؟ لأن أفرادها من تلاميذ ابن تومرت والمقربين إليه، ومن الصعب أن يذكروا عنه شيئاً لم يفعله، وإذا كان قد رباهما على أنه لا يسئل عما يفعل كما يقول الباحث فهذا مآخذ آخر يضاف إلى المآخذ الكثيرة التي أخذت على ابن تومرت، ثم كيف يجيب هذا الباحث على ادعاء ابن تومرت العصمة؟، وأنه يجوز له أن يقتل من لا يحفظ كتابه الذي ألفه لتلاميذه؟ وهذه الأمور قد ذكرها ابن تومرت في مؤلفاته ولا مجال لإنكارها، وهي بلا شك لا تقل خطورة عن سفك الدم المعصوم بغير حق.
وبهذا العرض نرى أن ابن تومرت قد برر أي عمل، أو تصرف يرى أنه يخدم دعوته، ومنها سفك الدماء المعصومة دونما مسوغ شرعي يجيز له ذلك، بل إنه قد بالغ في هذا العمل حيث تجاوز الأفراد إلى الجماعات والقبائل حتى أصبح أمراً مألوفاً عند أتباعه، واتجاهاً واضحاً في ميدان نشر دعوته، وحتى شعر كثير من الناس أن ما يقوم به ابن تومرت في هذا المجال إنما هو عمل شرعي نفذه من أجل خدمة دعوته، ويدل على هذا الشعور أن أعماله هذه لم تلق مواجهة أو مقاومة حينما يشرع في تنفيذها، حيث كان الناس يستسلمون له ليفعل بهم ما يشاء باعتباره لا يسئل عما يفعل كما يظن الكثيرين منهم.

كان هذا عرضا للاتجاه الفكري الذي سارت عليه دعوة ابن تومرت ومن خلاله تبين لنا أن هذه الدعوة قد انطلقت من عدة اتجاهات ومشارب فكرية عقدية حاول ابن تومرت أن يجعلها محاور رئيسة
دعوية أو سياسية، وقد حاول ابن تومرت أن يصبغ هذه الاتجاهات بصبغة دينية ليكون قبولها عند الناس أقوى، فادعى النسب القرشي والعصمة والمهدية، كما أنه حدد موقفه من دولة المرابطين وهي الدولة التي تبنت دعوته في أرضها وتحت مظلتها السياسية، فبين للناس أن هذا الموقف من قبله له بعد ديني ومغزى دعوى بسبب عدم اكتراث حكام دولة المرابطين بأمور الإسلام، ووضع المسلمين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما تبين لنا – أيضاً – أن من الاتجاهات الفكرية الواضحة في دعوة ابن تومرت العمل على تأصيل ما يدعو إليه في نفوس أصحابه بكل الوسائل والأسباب مهما كانت مشروعيتها حتى أصبحت تلك الوسائل تشكل اتجاهاً واضحاً تميزت به دعوة ابن تومرت كالتساهل في إراقة الدماء، وتكفير المعارضين والخصوم والعمل من أجل القضاء عليهم.

وقد أعاد ابن تومرت على تحقيق ما يصبو إليه من اجتذاب المؤيدين والأنصار ونشر أفكاره بينهم في بلاد المغرب ما سار عليه من خطوات محكمة أثناء نشره لدعوته، إضافة إلى ما كان يتصف به أهل المغرب الأقصى من سذاجة وجهالة[142]، فضلاً عما كان يتمتع به ابن تومرت من ذكاء وعلم وقدرة على التنظيم والتأثير[143].

وهنا قد يتساءل البعض فيقول: هل هذا الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت قد تأصل في نفوس أفراد دولة الموحدين عامتهم وخاصتهم، فأخذوا يعملون بمقتضاه، ويسيرون وفق اتجاهه وخطاه، أم أنهم بعد موت ابن تومرت، ومع مضي الزمن، بدأوا يتحللون من تعاليم تلك الدعوة ويسيرون في اتجاه غير اتجاهها؟، وللإجابة على هذا التساؤل يقال: إن أتباع ابن تومرت يمكن تقسيمهم إلى صنفين: الصنف الأول وهم التلاميذ والأصحاب المقربين الذين أعجبوا بدعوة ابن تومرت، وتعلقوا بها وهذا الصنف بقي على ولائه لتلك الدعوة حتى بعد وفاة ابن تومرت، وقد عرف هذا الصنف عند المؤرخين بشيوخ الموحدين.

أما الصنف الثاني فهم الذين دخلوا بها في باديء الأمر، وهم معجبون بها لكن حماسهم بدأ بالفتور إزائها مع مضي الوقت، ويشكل القادة السياسيون شريحة هامة من شرائح هذا الصنف، فقد خلف ابن تومرت في الحكم تلميذه عبدالمؤمن ابن علي (524 – 558هـ) الذي أعلن محبته لدعوة ابن تومرت، وتظاهر بأنه سيعمل على نشرها في بلاد المغرب والأندلس، لكن المتتبع لتاريخ هذا الرجل يدرك بجلاء أن هذا الحماس ما لبث أن تبدد حيث انشغل عبدالمؤمن عن ذلك بالأمور السياسية والعسكوية واكتفى بالقيام بزيارة قبر ابن تومرت بين الفينة والأخرى، كرمز على محبته له ولدعوته، أما العمل على تأصيلها في نفوس الناس ونشرها في أماكن جديدة، فلم يذكر المؤرخون – حسب علمي – أنه قام بشيء من هذا، ويدل على ذلك أن عبدالمؤمن لما بسط سلطانه على بلاد المغرب والأندلس لم تنتشر دعوة ابن تومرت في تلك الديار، ولم تتأصل محبتها في قلوب سكانها كما تأصلت عند سكان بلاد المغرب الأقصى الذين انتشرت بينهم تلك الدعوة في عهد ابن تومرت.

ومن الباحثين[144] من يرى أن عبدالمؤمن قد سار على نهج ابن تومرت في نشر الدعوة التومرتية، واستدل على هذا الرأي بأن عبدالمؤمن قد استمر بالبرنامج التعليمي الذي وضعه ابن تومرت حيث كان مستمداً من تعاليمه، إلى جانب أن أوامره قد صدرت إلى كافة الموحدين بشأن ضرورة المحافظة على تعاليم ابن تومرت والعمل على نشرها، ولكن يجاب على هذا القول، بأن هذه الخطوات التي اتخذها كانت طبيعية بل إنها ضرورية لرجل يعتبر التلميذ الأول لابن تومرت، فضلاً عن كونه قد خلفه في رئاسة الدولة، وذلك لكي يحافظ على مكانته بين الموحدين المخلصين لدعوة ابن تومرت، والذين بايعوه خلفاً لابن تومرت، لكن عبدالمؤمن لم يكن جاداً في هذا، بدليل أن ظل الدعوة الموحدية لم يسر جنباً إلى جنب مع الظل الياسي للدولة في عهد عبدالمؤمن كما هو الحال بالنسبة لعهد ابن تومرت.

وقد أخذ هذا الضعف إزاء دعوة ابن تومرت يزداد في عهد يوسف بن عبدالمؤمن (558 – 580هـ). حيث لم يقم هذا السلطان الموحدي بأي عمل لخدمة دعوة ابن تومرت سوى الإشادة بمؤسسها والدعاء له في المراسلات وعلى المنابر[145]، حيث يذكر المراكشي[146] أن السلطان يوسف بن عبدالمؤمن دعا إلى الأخذ بالكتاب والسنة ونبذ ما سواهما وذلك حينما دخل عليه أبو بكر بن الجد وبين يديه بعض الكتب الفقهية فقال له: يا أبا بكر أرأيت المسألة فيها أربعة أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا فأي هذه الأقوال هو الحق؟ وأيهما يجب أن يأخذ بها المقلد؟ فقال أبو بكر فافتتحت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أبين له ما يُشكل عليه من ذلك لكن يوسف قطع كلامه وقال له: يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف.

ويلاحظ هنا أن السلطان يوسف بن عبدالمؤمن قد صرح بعدم ارتياحه لجميع كتب الفروع بما فيها مؤلفات ابن تومرت والتي أخذ كثير من الموحدين بما فيها دون سواها، ولا أستبعد أن يكون هذا الإجراء من قبل السلطان يوسف إنما كان من أجل مؤلفات ابن تومرت لكنه لم يستطع أن يفردها دون غيرها حتى لا يثير الناس ضده.

وهكذا يتبين لنا أن السلطان عبدالمؤمن بن علي ثم خليفته السلطان يوسف بن عبدالمؤمن لم يكونا متحمسين لنشر دعوة ابن تومرت، وإن أبديا ظاهرياً أنهما مهتمين بها، وبنشر تراثها ودعوة الناس إلى تعلمه والعمل بموجبه، حيث أصدرا الأوامر وبعثا الرسائل من أجل هذا الغرض[147]، لكنهما بالحقيقة وكما يوحي بذلك تاريخهما لم يكونا جادين في ذلك، ولعل ما تحمله دعوة ابن تومرت من شطط وغلو في بعض أفكارها من الأسباب الرئيسة التي جعلتهما يحجمان عن العمل على نشرها حتى لا يحدث رد فعل مضاد لهما مما يعرض دولتهما للخطر، أما تظاهرهما بأنهما يعملان على نشرها والذود عنها، فهذا أمر طبيعي لأن دولتهما إنما قامت على اكتاف معتنقي هذه الدعوة وهم شيوخ الموحدين.

ومع مضى الزمن أخذ حماس زعماء دولة الموحدين يقل إزاء الدعوة، بل إن بعض زعماء الموحدين تجرؤا فأعلنوا براءتهم مما تحمله من غلو وانحراف، حيث يذكر المراكشي أن السلطان يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن (585 – 595هـ) – ثالث أمراء الموحدين بعد ابن تومرت – قال لأبي العباس أحمد بن إبراهيم ابن مطرف المرى – أحد المقربين إليه –: يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة – يعني عصمة ابن تومرت – كما يذكر أبوالعباس أيضاً أنه قال له يوماً وقد استأذنه في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام: يا أبا العباس أين الإمام؟ أين الإمام؟[148].

ولم يكتف المنصور بهذا بل إنه حاول إرجاع الناس إلى الكتاب والسنة واستئصال ونبذ تعاليم ابن تومرت التي توغلت في قلوب بعض الناس بالمغرب والأندلس – آنذاك –، حيث يذكر المراكشي أن السلطان يعقوب المنصور بعد انتصاره في معركة الأرك[149] سنة 591 ذهب لمدينة جيان[150] فخرج أهلها لتلقيه وتهنئته بالنصر فلما اقتربوا منه قدموا أحدهم ويدعى أبا بكر بن هانيء لتكليمه يقول أبو بكر: "...فسألني عن أحوال البلد وأحوال قضاته وولاته وعماله – على ما جرت عادته – فلما فرغت من جوابه سألني: كيف حالي في نفسي؟ فشكرت له، ودعوت بطول بقائه، ثم قال لي: ما قرأت عن العلم؟ قلت: قرأت تواليف الإمام – أعني ابن تومرت – فنظر إلي نظرة المغضب وقال: ما هكذا يقول الطالب! إنما حكمك أن تقول: قرأت كتاب الله، وقرأت شيئاً من السنة، ثم بعد هذا قل ما شئت"..[151].

ويضيف المراكشي أيضاً حين حديثه عن عقيدة العامة في ابن تومرت، أن يعقوب المنصور استخف بعقول من بالغوافي تعظيم ابن تومرت وتقديسه، والعمل بما قال به، أو دعا إليه ((لأنه لا يرى شيئا من هذا كله وكان لا يرى رأيهم في ابن تومرت))..[152] ولعل هذا الشعور هو الذي دفعه إلى أن يؤثر في الطلبة الذين جاؤا من أنحاء بلاد المغرب والأندلس لطلب العلم في حاضرة الدولة على شيوخ الموحدين الذين تأصل حب ابن تومرت وما دعا إليه في نفوسهم فلما بلغه حسد شيوخ الموحدين لهؤلاء الطلبة على مكانتهم عنده وتقريبه لهم خاطبهم قائلاً: "..يامعشر الموحدين أنتم قبائل فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء – يعني الطلبة – لا قبيل لهم إلا أنا فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم وإلي فزعهم وإلي ينتسبون"[153].

وهكذا نرى أن دعوة ابن تومرت وإن كانت قد تغلغلت في قلوب بعض المعجبين بها من السذج والعامة من الناس في بعض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بلاد المغرب الأقصى والأندلس فإن ما تحمله من شطط وغلو قد بدا لمن كان عنده شيء من العلم مما دفع العقلاء من الموحدين وهم يعدون حماتها إلى العمل على إزالتها والسعي لبيان وجه الخطأ فيها، فالمنصور ثالث أمراء الموحدين بعد ابن تومرت عمل على بيان باطلها وسعى لتقويضها ولم يمض على انتشارها بين الناس سوى نصف قرن، وهي مدة قصيرة في عصر الدعوات، لكن ما تحمله هذه الدعوة من جنوح في بعض أفكارها جعلت أقرب الناس منها يسعون لتقويضها –كما بينا في السطور السابقة –.

وهنا قد يرد تساؤل وهو: لماذا لم يعلن المنصور الموحدي للناس صراحة بطلان ما دعا إليه ابن تومرت ويعمل جاداً للقضاء على دعوته؟.

وللإجابة على هذا التساؤل يقال: إن الكثير من الناس ببلاد المغرب الأقصى، لا سيما العامة وشيوخ الموحدين، وزعماء القبائل، قد تعلقوا بدعوة ابن تومرت، واقتنعوا بصحة ما قال به أو دعا إليه، فلو واجههم المنصور بالنقد المريح، أو العمل الجاد للقضاء على دعوة ابن تومرت لنشأ عن ذلك رد فعل خطير من قبل أولئك القوم قد لا يستطيع رده أو التصدي له، وهذا بلا شك جعله يكتفي ببيان موقفه منها دون اتخاذ أي خطوات عملية ضدها.

ولكن وبالرغم من قلة ما قام به المنصور من جهداً، أو عمل مضاد لدعوة ابن تومرت، إلا أن عمله هذا كانت له نتائج إيجابية وطيبة، حيث أنه بهذا الإجراء كسر ذلك السياج الذي أحيطت به دعوة ابن تومرت، مما دعى كثيراً من الموحدين لا سيما المنصفين منهم إلى التمعن في حقيقة دعوة ابن تومرت ودراستها بموضوعية وإنصاف، فبانت لهم حقيقتها وما تحمله من جنوح في تفكيرها مما دفعهم إلى الأخذ بالتحلل من تعاليمها شيئاً فشيئاً حتى إذا ما تولى أبو العلاء إدريس الملقب بالمأمون[154] (624 – 629هـ) أعلن صراحة خروجه على تعاليم ابن تومرت كما بين للناس علانية ما تحمله هذه الدعوة من شطحات في بعض أفكارها وقال وهو على المنبر في مدينة مراكش يخطب الناس: "أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم – يعني ابن تومرت – وادعوه بالغوي المذموم فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولا مهدي إلا عيسى[155] وأنا قد نبذنا أمره النجس"...[156].

كما يذكر ابن أبي زرع أنه بعد أن نزل من على المنبر كتب إلى جميع بلاده بتغيير سير المهدي، وما كان ابتدعه للموحدين، وجرا عليه عملهم، وسير ملوكهم، وأمر بإسقاط المهدي من الخطبة، وإزالته من الدنانير والدراهم، وقال: ((كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لإبقاء البدع...))[157].

وبالإضافة إلى ما سبق فقد أرسل المأمون كتاباً إلى المدن المغربية والأندلسية بين لم فيه الخطوات التي اتخذها ضد دعوة ابن تومرت، وقد جاء في ذلك الكتاب: ((... ولتعلموا أنا نبدنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لا مهدي إلا عيسى ابن مريم... وقد أزلنا لفظ العصمة ممن لا تثبت له عصمة...))[158].

هكذا تجرأ المأمون تاسع أمراء الموحدين فبين للناس صراحة بطلان ما دعا إليه ابن تومرت، وأمرهم بنبذه والعودة إلى المنهج الإسلامي الأصيل، ولم يذكر المؤرخون أن هذا العمل لقي أي معارضة من الموحدين مما يدل على أنهم كانوا في ذلك الوقت قد بدأوا يتحللون منها لما بدا لهم الشطط في أفكارها واضحاً.

الخاتمة

الحمدلله، الذي بنعمه تتم الصالحات، وبعد: فإني أحاول في ختام هذا البحث أن أبرز أهم النتائج التي بدت لي خلال إعدادي له، والذي كان بعنوان: الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت – دراسة تاريخية – .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

– أن ابن تومرت جد في بادئ الأمر، في تكوين قاعدة قوية مؤمنة بما يدعو إليه، أو يقول به، وذلك لكي يضمن قاعدة شعبية لدعوته، ثم لدولته، ولهذا سلك العديد من السبل والوسائل المشروعة، وغير المشروعة، حتى يظهر دعوته للناس ومن ثم يكثر حوله المؤيدون والأنصار، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً.

– أن هناك منطلقات معينة حاول ابن تومرت أن تكون أسساً فكرية لدعوته، ومن أجل تأصيلها في نفوس أتباعه سلك العديد من السوائل بغض النظر عن مشروعيتها، وقد نجح إلى حد كبيرفي تأصيل هذه الأسس. مؤقتاً – عند أتباعه والمقربين إليه بالرغم مما يشوبها من الشطط والانحراف.

– أن ابن تومرت قد تأثر بأراء كثير من الفرق والمذاهب الإسلامية في الاعتقاد، والمنهج، لا سيما الفرق الباطنية منها، ويبدو هذا جلياً في قوله بالمهدية، والعصمة والإمامة، وهذا بلا شك من الشطحات الواضحة التي وقعت فيها دعوة ابن تومرت.

– أن هذا الانحراف في دعوة ابن تومرت هو السبب الرئيسي الذي جعل قبول الناس لها وقتياً ومرهوناً بوجود ابن تومرت، إذ أنه ما لبث الناس بعد وفاته أن أخذوا يتبينون ما فيها من غلو وشطط، ففتر حماسهم لها، ومع مضي الزمن، زاد تحولهم عنها، حتى أصبح زعماء دولة الموحدين خصوماً لها يسعون للقضاء عليها في وضح النهار، وهذا التحول السريع عنها يدل بوضوح على أن هذه الدعوة كانت لا تملك مقومات البقاء.

قائمة المصادر والمراجع

أ –المصادر:–

– ابن الآبار: أبوعبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت **568**هـ). التكملة لكتاب الصلة.

تحقيق عزت العطار.

نشر مكتبة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة **1380**هـ.

– الحلة السيراء ج**2**.

تحقيق حسين مؤنس ط أولى **1963**م.

نشر الشركة العربية للطباعة والنشر.

– ابن الأثير: أبوالحسن علي بن أحمد الشيباني (ت **630**هـ).

الكامل في التاريخ.

دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت سنة **1385**هـ (**12** مجلد).

ابن الأحمر: أبو الوليد اسماعيل بن يوسف (ت **857**هـ).

روضة النسرين في دولة بني مرين، الدار البيضاء

المكتبة الملكية **1382**هـ.

الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت **335**هـ).

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.

تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

نشر مكتبة النهضة المصرية **1369**هـ.

– الباروني: سليمان بن عبدالله الباروني النفوسي.

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، القسم الثاني.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نشر مطبعة الأزهار البارونية.
البيذق: أبوبكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت. ق 6هـ).
أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين.
تحقيق وتصحيح ليفي بروفنسال.
طبع في باريس سنة 1928م.
– أخبار المهدي بن تومرت.
تقديم وتحقيق: عبدالحميد حاجيات.
نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بتونس 1395هـ.
– المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب.
تحقيق عبدالوهاب بن منصور.
الناشر: دار المنصور للطباعة والوراقة بالرياض سنة 1971م.
– ابن تومرت (أبو عبدالله محمد) (524هـ).
أعز ما يطلب. تقديم وتحقيق عمار الطالبي.
نشر المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1985م.
– ابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام) (728هـ).
منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية.
نشر المطبعة الأميرية ببولاق سنة 1322هـ.
ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) (ت 681هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
تحقيق إحسان عباس.
نشر دار الثقافة بيروت سنة 1968م.
الحموي: ياقوت بن عبدالله الحموي (ت 626هـ).
معجم البلدان.
نشر دار صادر، بيروت.
ابن خلدون: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ).
العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
مطبعة بولاق بالقاهرة 1284هـ.
مقدمة ابن خلدون.
طبعة بولاق 1284هـ.
– ابن أبي دينار: محمد بن القاسم القيرواني (ت 1110هـ).
المؤنس في أخبار أفريقية وتونس.
تحقيق محمد شمام الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة بتونس 1967م.
– الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان التركماني (ت 748هـ). دول الإسلام في التاريخ.
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد سنة 1265هـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

– العبر في خبر من غبر.
تحقيق فؤاد سيد.
نشر مطبعة حكومة الكويت.
ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي (ت ق8هـ).
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس.
دار المنصور للطباعة والوراقة بالرياض سنة 1972م.
الزركشي: أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت حوالي سنة 864هـ).
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.
تحقيق محمد ماضور، ط. الثانية.
نشر المكتبة الفنية بتونس.
– ابن أبي السراج: محمد بن الأندلسي (ت 1149هـ).
الحلل السندسية في الأخبار التونسية.
تحقيق محمد الحبيب الهيلة.
نشر الدار التونسية للنشر 1975م.
السلاوي: أبو العباس أحمد الناصري (ت 1315هـ).
الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى.
تحقيق جعفر الناصري، ط. الدار البيضاء سنة 1954م.
السليماني: محمد بن الأعرج الجسني (ت 1344هـ).
اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب (مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط رقم 297).
– الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت 548هـ).
الملل والنحل.
نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده (1384هـ).
– ابن صاحب الصلاة: عبدالملك (ت. ق السادس).
تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين. تحقيق د.عبدالهادي التازي.
نشر وزارة الثقافة والفنون العراقية سلسلة كتب التراث (68) 1979م.
– ابن عذارى (أبو العباس أحمد محمد بن محمد المراكشي. ت.ق8هـ)
البيان المغرب في أخبار المغرب.
تحقيق أميروس هويس مراندة وآخرين.
نشر دار كريما دنيس للطباعة تطوان 1965م.
ابن العماد الحنبلي: عبدالحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت 1089هـ).
شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت.
أبو الفدا: عماد الدين اسماعيل صاحب حماه (ت 732هـ).
المختصر في أخبار البشر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نشر المطبعة الحسينية المصرية.

– ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه، (ت. ق3هـ).

مختصر كتاب البلدان.

طبع لندن سنة 1302هـ.

– ابن القطان: أبوالحسن علي بن محمد الفاسي (ت. ق7).

نظم الجمان في أخبار الزمان.

تحقيق محمود مكي.

جامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1964م.

ابن قنفذ: أبو العباس أحمد بن حسين بن علي (ت 810هـ).

الفارسية في مباديء الدولة الحفصية.

تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبدالمجيد التركي.

الدار التونسية للنشر 1968م.

– الوافي بالوفيات.

تحقيق عادل نويهض الطبعة الثانية دار الآفاق الجديدة. بيروت 1978م.

– ابن كثير أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت 774هـ). البداية والنهاية.

مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض 1966م.

المراكشي: عبدالواحد بن علي (ت 647هـ).

المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.

نشر دار الفكر بالدار البيضاء سنة 1978م.

المراكشي: أبو عبدالله محمد أحمد بن عبدالملك الأنصاري (ت 703هـ).

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

تحقيق إحسان عباس.

نشر دار الثقافة بيروت 1973م.

– ابن مرزوق: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني (ت 781هـ).

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن.

تحقيق ماريا خيوس.

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1451هـ.

– المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت 845).

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.

الجزء الأول. تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي 1367هـ.

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

– المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.

نشر دار صادر بيروت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

– النعمان: أبو حنيفة بن أبي عبدالله بن محمد بن حنون (ت **363**هـ).

كتاب افتتاح الدعوة.

تحقيق فرحات الدشرواوي.

نشر الشركة التونسية للتوزيع.

ب –المراجع:–

– اشباخ: يوسف.

تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين.

ترجمة محمد عبدالله عنان – الطبعة الثانية **1377**هـ.

الباجي: أبو عبدالله محمد الباجي المسعودي (ت **1297**هـ).

الخلاصة النقية في أمراء إفريقية.

مطبعة الدولة التونسية **1383**هـ.

– بروفنسال: ليفي.

الإسلام في المغرب والأندلس.

ترجمة السيد عبدالعزيز سالم وآخرين.

نشرمكتبة نهضة مصر ومطبعتها.

– بروفنسال: ليفي. (جامع ومحقق).

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كاتب لدولة المؤمنية. ط. الدار البيضاء سنة **1941**م.

– بل الفرد.

الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم.

ترجمة عبدالرحمن بدوي.

نشر دار البيان للنشر والتوزيع **1969**م.

– سالم: السيد عبدالعزيز.

المغرب الكبير العصر الوسيط، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية.

ط. دار النهضة العربية بيروت **1981**م.

– حسن: حسن علي.

الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين.

ط. أولى **1980**م مكتبة الخانجي بمصر.

درويش: عبدالحميد.

الفلسفة الإلهية عند محمد بن تومرت الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت،

مهدي الموحدين (**473** – **524**هـ).

نشر دار المنار **1410**هـ.

– شعوط: إبراهيم علي.

أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطبعة الرابعة دار التأليف 1976م بمصر.

– العبادي: عبدالحميد.

المجمل في تاريخ الأندلس.

نشر مطبعة السعادة بمصر 1358هـ.

– عبدالحميد: سعد زغلول.

تاريخ المغرب العربي (تاريخ دولة الأغالبة والرستمتين وبني مدار والأدارسة حتى قيام الفاطميين).

نشر منشأة المعارف بالإسكندرية 1979م.

محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس.

نشر جامعة بيروت العربية 1393هـ.

– علام: عبدالله علي.

الدعوة الموحدية بالمغرب.

دار المعرفة بالقاهرة ط. أولى 1964م.

– مؤنس: حسين.

عقد بيعة بولاية العهد.

(مقال منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة 1955م، مجلد 12).

– محمود: اسماعيل.

الأغالبة (184 – 296هـ) سياستهم الخارجية.

نشر مكتبة دراقة الجامعة بفاس.

– المظفر: محمد رضا.

عقائد الإمامية ط. الثالثة 1973م.

– النجار: عبدالمجيد.

المهدي بن تومرت، ط. أولى 1403هـ، دار المغرب الإسلامي بيروت.

– الهرفي: سلامة محمد سليمان الهرفي.

دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية. نشر المكتبة الفيصلية بمكة سنة 1405هـ.

---

[1] من أهم الكتب التي عنيت برصد حركة الرافضة، والقرامطة، والعبيديين كتاب القرامطة لابن الجوزي، والمهدي والمهدوية تأليف عبدالرزاق حصان، والفرق بين الفرق تأليف عبدالقاهر البغدادي، والملل والنحل للشهرستاني، ومنهاج السنة لابن تيمية، وكتاب الحاكم بأمر الله، وأسرار الدعوة الفاطمية تأليف محمد عثمان.

ولعل أهم الكتب المحدثة التي اهتمت بدراسة هذه الحركات الثلاث وغيرها من الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي كتاب ((وجاء دور المجوس)) لمؤلفه عبدالله بن محمد الغريب.

أما دعوة ابن تومرت فقد درسها أكثر من مؤرخ وباحث لكن دراستهم لها لم تعن ببيان وكشف حقيقتها، واتجاهها الفكري، حيث انطلت على بعضهم حقيقة دعوة الموحدين فظنوا بها خيراً، وفاتهم ما بها من غلو، فمن المؤرخين القدامى، ابن خلدون الذي حصر هفوات ابن تومرت بزلة واحدة هي موافقته للرافضة في القول بعصمة الإمام حيث قال: ((ولم يحفظ عنه فلته في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البدعة، إلا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم)) (ابن خلدون: العبر جـ11، ص471 – 472).

أما من الكتاب المحدثين فيرى عبدالمجيد النجار أن دولة الموحدين التي أسسها محمد بن تومرت دولة سنية حذت النهج الذي نهجته دولة المرابطين. (عبدالمجيد النجار: المهدي بن تومرت ص12).

وقد رأى قريباً من هذا الرأي عبدالله علام، حيث قال: أن دعوة ابن تومرت دعوة إصلاحية إسلامية، وأن مهدوية ابن تومرت في نطاق إسلامي سني معتدل.. (عبدالله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ص6 – 6).

أما محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي محققاً كتاب المعجب للمراكشي، فذكرا أن كثيراً من المؤرخين المشارقة قد انكروا ما جاء به ابن تومرت، ونسبوه إلى الدجل والشعوذة، كما تعقبوا دعاوية بالتفنيد والابطال، وقد عزا الكاتبان هذا الموقف من قبل هؤلاء المؤرخين المشارقة إلى سبب رئيسي هو ((.. لأن المغرب الإسلامي.. لم يكن يعترف بشيء من الولاء للخليفة العباسي في بغداد، ولم يدع له يوماً على منبر من المنابر المغرب لا في الأندلس ولا في الشاطئ الأفريقي.. فما احرى هذا أن يحمل مؤرخي المشارقة على النظر بارتياب إلى ابن تومرت وأصحابه، وأن يعتبروهم طلاب ملك يخلعون في سبيله طاعة الخليفة، ويخرجون عن الولاء له، ومن ثم كان رأي مؤرخيهم في شيخ الموحدين.. على أن الرأي مهما يختلف في شأن محمد بن تومرت فمما لا شك فيه أنه رجل من أهل الإيمان والفطنة، كان له رأي في سياسة الدولة الإسلامية يستند إلى أساس من الدين..)). (المراكشي: المعجب ص276 حاشية رقم 2).

هكذا كانت نظرة هذين الكاتبين لدعوة ابن تومرت، وهي بلا شك نظرة سطحية، حيث فسراها تفسيراً سياسياً، مع أنها كانت تستند إلى أسس عقدية بحته.

[2] البيذق: هو أبو بكر بن علي الصنهاجي الملقب بالبيذق، أحد تلاميذ ابن تومرت المقربين إليه، إذ كان يلازمه ملازمة تامة في إقامته وسفره، ولهذا تأثر تأثراً قوياً بدعوة ابن تومرت فآمن بكل ما نادى به، أو دعى إليه.

وقد عاش البيذق بعد وفاة ابن تومرت مدة طويلة، حيث توفي في آخر عهد الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي – حوالي سنة 555هـ – ولهذا فإنه حفظ لنا أخبار دعوة ابن تومرت منذ نشأتها حتى آخر عهد عبدالمؤمن بن علي حيث دون لنا ذلك في كتابين هما:

1 – أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين.

2 – المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب.

وهذان الكتابان يعدان في غاية الأهمية بالنسبة لدعوة ابن تومرت، وذلك لأن البيذق كان معاصراً للأحداث، وشاهد عيان لما كتب. (انظر في تفصيلات ذلك البيذق: أخبار المهدي بن تومرت تحقيق عبدالحميد حاجيات ص7 – 11 من مقدمة المحقق).

[3] ابن القطان: هو أبوالحسن علي بن محمد بن عبدالملك أحد تلاميذ ابن تومرت البارزين، ألف كتاب ((نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان)) حيث تحدث فيه عن بدء دعوة ابن تومرت، ونشأتها، وقيام دولة الموحدين، لكن هذا الكتاب فقد معظمه حيث لم يصل إلينا منه سوى السفر الثالث عشر والذي تحدث فيه عن أخبار ثلاثين سنة من سنة 500هـ إلى 533هـ، وهذا السفر يحوي معلومات مهمة عن ابن تومرت ودعوته.

ويؤخذ على ابن القطان مبالغته في مدح ابن تومرت، وتحامله على دولة المرابطين، حيث وصفهم بأنهم مجسمون وكفار. (انظر في تفصيلات ذلك كلاً من: ابن القطان: نظم الجمان ص46 – 47، وابن الأبار. التكملة لكتاب الصلة جـ2، ص686 – 687. ابن عبدالملك: الذيل والتكملة القسم الأول، ص312).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[4] ابن صاحب الصلاة: هو عبدالملك بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة، ولد سنة 537هـ وتوفي (أواخر ق6هـ) وهو من رجال الدولة الموحدية المقربين إلى زعماءها، وقد ألف كتاباً عن تاريخ دولة الموحدين سماه ((تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين..)) ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء، وقد فُقد الجزآن الأول والثالث، ولم يصل إلينا منه سوى الجزء الثاني والذي حوى في ثناياه معلومات مهمة عن ابن تومرت، ونهجه في تربية أصحابه ولكن يؤخذ عليه المبالغة الشديدة في مدح الموحدين، وذم خصومهم المرابطين. (ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص185، 259، 300، 429، وكذلك مقدمة المحقق عبدالهادي النازي ص35 – 40).

[5] ابن الآبار: الحلة السيراء ج1، ص93 – 95، ابن الأثير: الكامل ج6، ص155.

[6] انظر في تفصيلات هذه الأحداث السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبيرج2، 372 – 406.

[7] محمود إسماعيل: الأغالبة سياستهم الخارجية ص44.

[8] يعتبر الفقيه عبدالله بن ياسين أول من سعى لتأسيس دولة المرابطين حيث تمكن من أن يجمع القبائل المتناحرة في وحدة دينية، كانت هي النواة الأولى لدولة المرابطين، وذلك حينما قدم ابن ياسين إلى بلاد جدالة بدعوة من يحيى بن إبراهيم الجدالي حيث لقي عبدالله بن ياسين ترحيباً من قبل أفراد قبيلة جدالة، لكن عبدالله أخذ ينكر على أفراد تلك القبيلة ما هم عليه من منكرات وبدع، فساءت العلاقة بينه وبينهم، مما دفعه إلى الارتحال عنهم إلى جزيرة منعزلة بالسنغال حيث صحبه بعض أبتاعه وعلى رأسهم يحيى بن إبراهيم ويحيى بن عمر.

(ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص134)، ابن خلدون: العبر ج6، ص182 – 183، حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص113 – 114.

[9] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص123، ابن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث ص228.

[10] حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص166.

[11] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص134 – 138هـ، ابن الخطيب: أعمال الإعلام القسم الثالث ص228 – 266، السلاوي: الاستقصا ج2، ص31.

[12] المراكشي: المعجب ص241، ابن عذارى: البيان المغرب ج3، ص23، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص189.

[13] ابن خلدون: العبر ج6، ص159، ابن الأثير: الكامل ج9، ص532.

[14] الخوارج: هم إحدى الفرق الإسلامية كانت بداية ظهورهم بعد موقعة صفين حينما خرجوا على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه – بعد حادثة التحكيم وتبرأوا منه. (الأشعري مقالات الإسلاميين ج1، ص191).

قد انقسم الخوارج إلى فرق كثيرة تزيد على عشرين فرقة ولهم آراء واعتقادات خالفوا بها جماعة المسلمين من أهمها رأيهم في الخلافة حيث أجازوا أن تكون الإمامة في غير قريش (الشهرستاني: الملل والنحل ج2، ص26).

وقد عرف في بلاد المغرب فرقتان للخوارج هما: الخوارج الصفرية وهم أتباع زياد بن الأصفر القرشي، وفرقة الخوارج الإباضية نسبة إلى عبدالله بن إباض التميمي.

(انظر السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير ج2، ص534 – 538، محمد أحمد عبدالمولى: القوى السنية في المغرب جذ، ص92 – 93).

[15] ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص146، ابن عذارى: البيان المغرب ج1، ص215، ابن خلدون العبر ج6، ص276.

[16] أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص46.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[17] ابن خلدون: العبر ج6، ص267، السلاوي: الاستقصا ج1، ص125.

[18] ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص148، السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير ج2، ص589، أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص46.

[19] الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ج2، ص2 – 3، السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير ج2، ص583، احمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص46.

[20] وقد تطور هذا الخلاف حتى تحول إلى انقسام مذهبي بين الأباضية أنفسهم، حيث نشأت فرقة الوهابية، وهم الذين يؤيدون عبدالوهاب بن رستم، والنكارية وهم الذين عارضوا عبدالوهاب وأنكروا عليه بعض المآخذ التي أخذوها عليه. (انظر في تفصيلات ذلك: الباروني، الأزهار الرياضية ج2، ص111، السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير ج2، ص552 – 553).

[21] الباروني: الأزهار الرياضية ج2، ص990، أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب ص45 – 46، السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير ج2، ص550 – 551.

[22] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص48، السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير ج2، ص565.

[23] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص48.

[24] القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص276.

[25] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص53 – 54.

[26] المرجع السابق ص55.

[27] الذهبي: العبر ج2، ص326، ابن عذارى: البيان المغرب ج2، ص221، أبو الفدا المختصر ج2، ص109.

[28] المعتزلة: هم فرقة ظهرت في القرن الأول الهجرى في بلاد المشرق وسموا بهذا الاسم لاعتزال إمامها وأصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وترى المعتزلة تأويل بعض الآيات القرآنية الدالة على أسماء الله وصفاته خشية مشابهة الخالق بالمخلوق كما بنوا مذهبهم على خمسة أصول هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
(الأشعري: مقالات الإسلاميين ج1، ص216 – 219، محمد أحمد عبدالمولي: القوى السنية ج1، ص94 – 95.

[29] ابن خلدون: العبر ج4، ص25، السلاوي: الاستقصا ج1، ص157.

[30] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب ص50.

[31] السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب ج2، ص486.

[32] تبدو هذه المطامح من خلال الرسائل التي بعثها الأدارسة إلى بعض المسلمين، كما تبدو أيضاً من خلال الاتصالات التي أجروها مع أهل مصر والأغالبة. (انظر في تفصيلات ذلك: ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص14 – 17، أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب ص50 – 51).

[33] أحمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس51.

[34] سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي ج2، ص423.

[35] ويقابل هذا القول ما ذكره الفرد بل من أن دولة الأدارسة كانت على المذهب السني وإنهم عملوا على نشره في بلاد المغرب (الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ترجمة عبدالرحمن بدوي ص88).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[36] من هؤلاء الكتاب والمؤرخين ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ص84، الشهرستاني الملل والنحل ج1، ص57، محمد أحمد عبدالمولى: القوى السنية في المغرب ج1، ص95 – 96.

[37] انظر في تفصيلات هذا الخلاف كلاً من ابن القطان: نظم الجمان ص74، المراكشي: المعجب ص245، الزركشي: تاريخ الدولتين ص4، ابن الخطيب: رقم الحلل ص57، ابن الأثير: الكامل ج10، ص578، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج5، ص53، ابن السراج: الحلل السندسية ج1، ص985.

[38] المراكشي: المعجب ص179، الزركشي: تاريخ الدولتين ص4، مراجع الغناي قيام دولة الموحدين ص196، العبادي: المجمل في تاريخ الأندلس ص167.

[39] المراكشي: المعجب ص179، الزركشي: تاريخ الدولتين ص4.

[40] ابن خلكان: وفيات الأعيان ج5، ص46، ابن الأثير: الكامل ج10، ص570.

[41] عبدالله علام: الدولة الموحدية في عهد عبدالمؤمن ص46، سعد زغلول عبدالحميد: محمد بن تومرت ص13.

[42] شذرات الذهب ج4، ص70.

[43] ابن خلكان. وفيات الأعيان ج5، ص46.

[44] المصدر السابق ص46.

[45] أخبار المهدي بن تومرت (نشر بروفنسال) ص32.

[46] يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي أحد أمراء الدولة الصنهاجية تولى الأمر بعد وفاة أبيه سنة 551هـ وفي عهده قدم ابن تومرت إلى بلاد المغرب الأدنى في سنة 505هـ. (ابن كثير: البداية والنهاية ج12، ص223، ابن خلدون: العبر ج6، ص958، ابن أبي دينار: المؤنس ص82 – 85، الباجي: الخلاصة النقية ص49 – 50).

[47] العبر ج6، ص466 – 467.

[48] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ص51، المراكشي: المعجب ص274، ابن خلدون: العبر ج6، ص467.

[49] المراكشي: المعجب ص179 – 180، عبدالله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ص85.

[50] أخبار المهدي بن تومرت، (تحقيق عبدالحميد حاجيات) ص36 و42.

[51] المعجب ص270.

[52] ابن القطان: نظم الجمان ص22، ابن خلدون: العبر ج6، ص467.

[53] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ص56 – 57، الزركشي: تاريخ الدولتين ص5.

[54] أخبار المهدي بن تومرت ص22.

[55] المصدر السابق ص30 – 31، عبدالحميد درويش: الفلسفة الإلهية عند ابن تومرت ص19.

[56] ابن القطان نظم الجمان ص46، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص177.

[57] ابن خلدون، العبر ج6، ص467.

[58] ابن خلدون: العبر ج6، ص469، ابن قنفذ: الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ص101، سعد زغلول عبدالحميد: محمد بن تومرت ص21.

[59] سلامة الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ص99.

[60] ابن القطان: نظم الجمان ص47، ابن خلدون: العبر ج6، ص471.

[61] ابن القطان: نظم الجمان ص47.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[62] مما جاء في إحدى رسائل ابن تومرت التي وجهها إلى الموحدين قبيل لقياهم بالمرابطين بإحدى المعارك "واعلموا وفقكم الله أن جهادهم فرض على الأعيان على كل من فيه طاقة على القتال، واجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين فجهادهم أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة لأنهم جسموا الخالق سبحانه وأنكروا التوحيد وعاندوا الحق"... (البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق بروفنسال ص9).

[63] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق ليفي بروفنسال ص9، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص175.

[64] الزركشي: تاريخ الدولتين ص5، ابن خلدون: العبر ج6، ص226، الذهبي: العبر ج4، ص59.

[65] المراكشي: المعجب ص187، عبدالله علام: الدعوة الموحدية ص107 – 108.

[66] ابن خلدون: العبر ج6، ص328، ابن قنفذ: مبادىء الدولة الحفصية ص100، سعد زغلول عبدالحميد: محمد بن تومرت ص21.

[67] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص177.

[68] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص176، المراكشي: المعجب ص254.

[69] من صور التنظيم التي كان يعمل بها ابن تومرت أنه صنف اتباعه بعد مبايعته بالإمامة إلى طبقات حسب أسبقيتهم إلى بيعته ودخولهم في طاعته، وقد توخى أن لا يصل إلى هذا التصنيف إلا من كان مخلصاً لدعوته، ملماً بالأفكار التي نادى بها ودعا إليها، وهذا التصنيف يشتمل على أربع عشرة طبقة هي: (1) الجماعة أو العشرة وهؤلاء أقرب الناس إليه. (2) أهل الخمسين وهؤلاء يكونون دائرة أوسع من الدائرة السابقة. (3) أهل السبعين وهؤلاء دون أهل الخمسين مرتبة ونفوذاً. وهذه الطبقات الثلاث تشارك ابن تومرت في إبداء الرأي، وإدارة شؤون الدولة حيث يذكر صاحب كتاب الحلل الموشية أن ابن تومرت "... يعقد الأمور العظام مع أصحابه العشرة لا يحضر غيرهم فإذا جاء أمر أهون أحضر أهل الخمسين فإذا جاء دون ذلك أحضر معهم السبعين".. الحلل الموشية ص 88.

ويلي هذه الطبقات الثلاث إحدى عشرة طبقة هي: (1) الطلبة. (2) صغار الطلبة. (3) أهل الدار: وهم أسرة ابن تومرت ومن يقوم لخدمته. (4) أهل هرغة: وهم زعماء قبيلة ابن تومرت. (5) أهل تينملل، وجدميوه، وجنفيسه، وهنتاته وهي كبرى القبائل البربرية التي استجابت لدعوته ويكونون أربع طبقات. (9) أهل القبائل: وهم بعض زعماء القبائل الموالية لابن تومرت. (10) الجند، (11) الغزاة.

ويذكر ابن القطان: "إن لكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر وأخذهم في تارك امتثال أمر من يسمع أمره بالقتل وبايعوه على هذا".

انظر في تفصيلات هذا التصنيف: ابن القطان: نظم الجمان ص27 – 29، المراكشي: المعجب ص425، مؤلف مجهول. الحلل الموشية ص87 – 88، ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية ص53 – 54.

[70] ابن خلدون: العبر ج6، ص228، سعد زغلول عبدالحميد: محمد بن تومرت ص27.

[71] نظم الجمان ص75.

[72] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص176، ابن قنفذ: الفارسية في مبادىء الدولة الحنفية ص100.

[73] العبر ج6، ص228.

[74] المراكشي: المعجب ص254، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص176.

[75] تينملل: قرية صغيرة في بلاد السوس يسكنها البربر تقع في رأس جبل درن ولا يمكن الوصول إليها الا من طريق واحد لا يتسع لغير فارس واحد، وهي في غاية الحصانة حيث يسد خللها أقل عصبة من الناس. (ياقوت: معجم البلدان ج2، ص69، ابن القطان: نظم الجمان ص75).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[76] ابن القطان: نظم الجمان ص75.

[77] ابن القطان: نظم الجمان ص75، ابن خلدون: العبر ج6، ص228.

[78] المصدران السابقان.

[79] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ص43، ابن قنفذ: الوافي بالوفيات ص273.

[80] من هؤلاء المؤرخين. أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق في كتابه المقتبس من كتاب الأنساب ص12، ابن القطان: نظم الجمان ص34، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص12، ابن خلدون العبر ج6، ص226.

[81] من هؤلاء الدكتور عبدالحميد العبادي: المجمل في تاريخ الأندلس ص182، عبدالله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ص54، عبدالمجيد النجار: المهدي بن تومرت ص27 – 28.

[82] ممن قال بهذا ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص2، 1، ابن عذارى: البيان المغرب ج4، ص68، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج4، ص70.

[83] عصر المرابطين والموحدين ص160.

[84] قيام دولة المرابطين ص177.

[85] المراكشي: المعجب ص255.

[86] ابن خلدون: المقدمة ص121، إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص348.

[87] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص278 – 201، الذخيرة ص14، ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن ص109 – 110.

[88] ابن خلدرن: العبر ج6، ص275، الزركشي: تاريخ الدولتين ص24.

[89] انظر في تفصيلات ذلك: البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ابن القطان نظم الجمان حيث وردت كلمة المعصوم عشرات المرات، كما ورد فصل بعنوان: "عصمته رضي الله عنه".

[90] أعز ما يطلب ص245 – 246.

[91] المصدر السابق ص246.

[92] انظر في تفصيل هذا البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، حيث عقد أكثر من عشرة فصول في هذا الكتاب بعنوان دخول المعصوم أو خروج المعصوم.. الخ. وكذلك ابن القطان في كتابه نظم الجمان.

[93] المراكشي: المعجب ص275.

[94] الصابوني: النبوة والأنبياء ص55 – 56.

[95] الشهرستاني: الملل والنحل ج1، ص195، ابن تيمية: منهاج السنة ج3، ص174 – 175.

[96] محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص72.

[97] ابن تيمية: منهاج السنة ج3، ص172 – 175.

[98] أباح ابن تومرت دم كل من شك في عصمته أو خالفه فيما يدعو إليه، ولهذا كان يقوم بما أسماه بعملية التمييز لأصحابه وهي التعرف على ولاء أتباعه وإيمانهم بما قاله أو دعا إليه فمن شك في ولائه أو أظهر له شيئاً من المخالفة أمر بقتله، وسنفصل القول في هذا في آخر هذا البحث – إن شاء الله – .

[99] البيذق أخبار المهدي بن تومرت ص39، ابن تيمية منهاج السنة ج3، ص175.

[100] سمي هذا الكتاب بأعز ما يطلب لأنه بدأه بقوله: أعز ما يطلب وأسنى ما يبتغى، وقد ضمنه أهم آرائه في القول بالعصمة وغيرها، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الهامة عند الموحدين، وقد نشر بالجزائر لأول مرة سنة 1903م بعناية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لوسياني حيث ضم معه عشرين رسالة صدرت من ابن تومرت إلى أتباعه يعالج بعض القضايا الفقهية والعقدية وغيرها وذلك من وجهة نظر ابن تومرت، ثم طبع بالجزائر سنة **1985**م بتحقيق الدكتور عمار الطالبي حيث زاد عليه بعض الرسائل التي كتبها ابن تومرت.

[101] المعجب ص**280 – 281**.

[102] ابن القطان: نظم الجمان ص**75**.

[103] المعجب ص**275**.

[104] العبر ج**6**، ص**228**.

[105] ابن تومرت: أعز ما يطلب ص**257**.

[106] المصدر السابق ص**256**.

[107] المصدر السابق ص**256 – 257**.

[108] يقول أهل السنة والجماعة بخروج المهدي في آخر الزمان وهم يعتمدون في ذلك على الأحاديث الصحيحة التي ثبتت عن رسول الله – r – ومنها ما رواه ابن مسعود وغيره عن النبي – r – إنه قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج في رجل مني أو من بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً". رواه الترمذي وأبو داود.

(ابن تيمية: منهاج السنة ج**4**، ص**211**).

[109] عبدالله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ص**23**.

[110] ابن خلدون: العبر ط. بيروت ج**11**، ص**470**.

[111] ابن تومرت: أعزما يطلب ص**245**.

[112] محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص**71**.

[113] عبدالحميد النجار: المهدي بن تومرت ص**237**.

[114] المرجع السابق ص**362**.

[115] المراكشي: المعجب ص**275**،

[116] ابن تومرت: أعز ما يطلب ص**204**.

[117] يرى الدكتور حسين مؤنس: أن قول ابن تومرت بالتوحيد وتسميته أصحابه بهذا الاسم إنما كان له أكثر من مغزى سياسي بينها بقوله: (إن قوله بالتوحيد عل النحو الذي بينه إنما كان سياسة ماهرة ضد المرابطين فقد رماهم بالتجسيم والكفر واعتبر نفسه وأصحابه أنصار التوحيد وقد جازت هذه الدعاوى على معظم أهل المغرب في زمانه فانضموا إليه.. والمهم عندنا أن ابن تومرت استطاع بدعوى التوحيد التي ابتدعها أن يجمع الناس حوله).. (حسين مؤنس: عقد بيعة بولاية العهد، مقال منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مجلد**12** سنة **1950**م، ص**149**).

[118] ابن خلدون: العبر ج**6**، ص**249**.

[119] المراكشي: المعجب ص**276**.

[120] العبر ج**6**، ص**466**.

[121] المعجب ص**271**.

[122] الخطط ج**2**، ص**358**.

[123] أعمال الأعلام القسم الثاني ص**266 – 267**، وانظر أيضاً عبدالله علام: الدعوة الموحدية ص**151**.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[124] عبدالله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ص159.

[125] السلاوي ج1، ص126 – 127.

[126] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ص39.

[127] ابن تومرت: أعز ما يطلب (تحقيق عمار الطالبي) ص260.

[128] المعجب ص282.

[129] من هذه الفصول على سبيل المثال "باب في بيان طرائف المبطلين الملثمين والمجسمين وعلاماتهم" و"باب فيما أحدثوه من المنكر والمغار".. انظر في تفصيلات ذلك كتاب أعز ما يطلب (تحقيق عمار الطالب) ص242 – 249.

[130] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت (نشر بروفنسال) ص4.

[131] عبدالله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ص181.

[132] نظم الجمان ص39.

[133] أخبار المهدي (تحقيق عبدالحميد حاجيات) ص71 – 72.

[134] نظم الجمان ص102 – 104.

[135] من هؤلاء المؤرخين ابن الأثير: الكامل ج8، ص297، ابن خلدون: العبر ج6، ص471، السلاوي: الاستقصا ج2، ص88.

[136] البشير هو: أبو محمد عبدالله بن محسن الونشريشي المشهور بين الموحدين بالبشير أحد العشرة الذين اصطفاهم ابن تومرت للأمور الخاصة حيث أسند إليه مهمة عملية التمييز سنة 524هـ، توفي في موقعة البحيرة في تلك السنة. (البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب ص24).

[137] عبدالله علام: الدعوة الموحدية ص191 – 192.

[138] ابن القطان: نظم الجمان ص39 – 40، ابن الأثير: الكامل ج8، ص296.

[139] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص129، ابن تيمية: الفتاوى ج11، ص477.

[140] عبدالحميد النجار: المهدي بن تومرت ص141.

[141] المرجع السابق ص141 – 142.

[142] المراكشي: المعجب ص270.

[143] ابن خلدون: العبر ج6، ص228، سعد زغلول عبدالحميد: محمد بن تومرت ص27.

[144] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص460.

[145] ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية ص132، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص276 – 303، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص461.

[146] المعجب ص202.

[147] انظر مثلاً الرسالة التى وجهها السلطان عبدالمؤمن لأهل بجاية سنة 556هـ. (ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية ص132).

[148] المعجب ص369.

[149] الأرك: أحد الحصون الأندلسية المنيعة يقع غرب قلعة رباح وقعت فيه بين المسلمين بقيادة السلطان الموحدي يعقوب المنصور وبين النصارى بقيادة الفونسو الثامن ملك قشتالة معركة حاسمة وذلك في شهر شعبان سنة 591هـ، حيث تمكن الموحدون من إحراز نصر كبير، على أعدائهم النصارى، فقتلوا منهم ما يربوا على ثلاثين ألفاً كما أسروا وغنموا الكثير،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولما كانت هذه الموقعة قد وقعت بالقرب من حصن الأرك فقد نسبت إليه (راجع في تفصيلات هده المعركة كلا من المراكشي: المعجب ص**382**، ابن عذاري: البيان المغرب ج**3**، ص**191 – 195**، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص**222 – 223**، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس ص**87**)،

[150] جيان مدينة أندلسية كبيرة تقع شرق مدينة قرطبة وبينها وبين مدينة بياسة عشرون ميلاً، ولها قصبة تعد من القصاب الموصوفة بالحصانة، وتقع على رأس جبل عال وهي كثيرة البساتين ويتبعها حوالي ثلاثة ألاف قرية (ياقوت: معجم البلدان ج**2**، ص**195**، الحميري: الروض المعطار ص**183**)

[151] المعجب ص**417**.

[152] المصدر السابق ص**417 – 418**.

[153] المصدر السابق ص**402**.

[154] هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور تاسع أمراء دولة الموحدين، استغل الوضع المضطرب في الدولة الموحدية في آخر عمرها، فنبذ طاعة أخيه العادل (**621 – 624**هـ) ودعا لنفسه فبويع في إشبيلية، ثم أجابه أكثر ولاة الأندلس في آخر عام **624**هـ فكتب إلى الموحدين الذين ببلاد المغرب فبعثوا إليه ببيعتهم، لكنهم لم يلبثوا سوى مدة قصيرة حتى نكث شيوخ الموحدين البيعة، وبايعوا يحيى بن محمد الناصر الذي تلقب بالمنتصر فغضب المأمون على شيوخ الموحدين الذين أصبح ولاؤهم حسب مصالحهم، وليس حسب المصلحة العامة، وهذا ما ساعد على أن يتخذ عدة إجراءات ضد دعوة ابن تومرت، (انظر في تفصيلات ذلك كلاً من: ابن عذاري: البيان المغرب ج**3**، ص**253**، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص**250 – 251**).

[155] يقول أهل السنة والجماعة بنزول عيسى في آخر الزمان كما تواترت بذلك الأحاديث، ويؤمنون بخروج المهدي كما صح في الحديث أيضاً.

[156] الأنيس المطرب ص**251**.

[157] المصدر السابق ص**252**.

[158] المصدر السابق ص**252**.

تعليقات الزوار:

1- تساؤل

برجان المراكشي – المغرب – **2008/01/08 01:05 AM**

بسم الله الرحمن الرحيم .انتساب الادارسة للمذهب الاعتزالي فيه نظر .والمنهج التاريخي لظهور مقالات الفرق يتعارض مع هذا الرأي مع العلم ان المولى ادريس توفي سنة **172**هج وحتى لو دخل المذهب الاعتزالي المغرب قبل وصول الامام رحمه الله لكان في مرحلته التاسيسية المحدودة في مباحث سياسية لا كلامية عقلية أو فلسفية .....المؤلف ترك ذكر كتاب الاعتصام للشاطبي في بدع ابن تومرت فهو مهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com